التوحيد

مجلة • اسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة انصار السنة المحمدية
العدد ٥٨٩ السنة الخمسون - محرم ١٤٤٢ هـ
الثمن ٥ جنيهات

فضائل شهر المحرم والصيام فيه

مُحَرَّم
١٤٤٢هـ

نهاية العام.. وقفة محاسبة

- ابن خلدون مؤسس علم الاقتصاد
- معالم في الدعوة إلى الله تعالى
- الهجر والهجرة والمهاجر

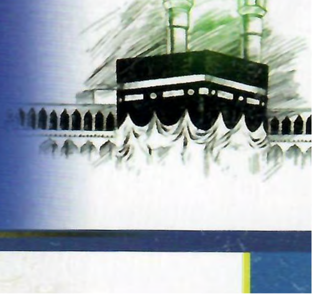

مجلة التوحيد

إعلانك على موقع التوحيد يحقق لك :

التميز الانتشار الربح

بادر بحجز إعلانك على موقع التوحيد

مفاجأة عند إعلانك لمدة شهر تحصل على شهر مجاناً

السلام عليكم

تاريخ التأريخ بالتاريخ الهجري

١- اعتمدت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بداية للتاريخ الهجري في ربيع الأول عام: ٦١ للهجرة بعد سنتين ونصف من خلافة عمر رضي الله عنه.

٢- بدأ التأريخ بالتاريخ الهجري في بداية العام: السابع عشر للهجرة من شهر المحرم.

٣- التأريخ الهجري يعتمد حساب منازل القمر.

٤- التأريخ الهجري تأريخ إسلامي؛ لقوله تعالى: « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ » (التوبة: ٦٣). والمقصود بالأشهر: الأشهر القمرية.

وقال تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (يونس: ٥).

التحرير

بريد القراء

«بريد القراء»، أول باب تفاعلي إعلامي منذ القرن الـ ١٨

عزيزي قارئ مجلة التوحيد:

قبل أكثر من قرنين من الزمان كان باب التفاعل الوحيد بين الصحف وبين القراء، هو باب «بريد القراء».

وتطور الوضع الآن إلى رسائل إلكترونية ترسل إلى مواقع الصحف الإلكترونية للتعقيب على المقالات والأخبار مباشرة، بالإضافة إلى البريد العادي.

وتفعيلاً للتواصل بين مجلة التوحيد والقراء الكرام، فإنه تتاح نافذة «بريد القراء» في مجلة التوحيد، فيرجى لمن يرغب بالمشاركة الالتزام بالأصول الصحافية بعدم التعدي أو اتهام أشخاص بلا دليل، وينبغي أن تكون الرسالة ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ كلمة بحد أقصى، وسيتم إهمال الرسائل التي تأتي بلا توقيع أو تحتوي على لغة بذيئة لا تصلح للنشر. والله الموفق.

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام
د. مرزوق محمد مرزوق

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

فضائل شهر المحرم والصيام فيه
مُحَرَّم

٣

٦

ابن خلدون مؤسس علم الاقتصاد

٢٨

الدعوة إلى الله

٤٤

باب التفسير ١٠
الأحداث المهمة في تاريخ الأمة ١٢
باب السنة ١٧
مبحث في حكم اللواط ٢١
قواعد فقهية وضوابط شرعية للمعاملات المالية المعاصرة ٢٥
الإنفوجراف ٣٢
مرصد التوحيد ٣٤
واحة التوحيد ٣٦
دراسات شرعية ٣٨
سفينة الحياة وسفينة النجاة ٤١
العالم الإسلامي ٤٨
الأسرة المسلمة ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل ٥٧
باب الفقه ٦١
منبر الحرمين ٦٧
إياكم ومحقرات الذنوب ٦٩
بريد القراء ٧٢

غلاف العدد

التوحيد
فضائل شهر المحرم والصيام فيه
مُحَرَّم
١٤٤١هـ
نهاية العام .. وقفة محاسبة

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم /١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

800 جنيهاً

ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر ٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن .

فضائل شهر المحرم والصيام فيه

الرئيس العام د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خالق الخلق أجمعين، وأشهد أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم المبعوث إلى الناس أجمعين.

وبعد:

فإن شهر الله المحرم من الأشهر الحرم التي ورد تفضيلها بنص التنزيل:

قال تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» (التوبة: ٣٦).

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: يقول تعالى ذكره: «إنَّ عدَّةَ الشُّهور عندَ اللَّه اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا في كتَاب اللَّه» الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم. يقول: هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرمهن وتحرم القتال فيهن...، وهن رجب مضر وثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (تفسير الطبري، ج١٠/ ٨٨).

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم تحديد هذه الأشهر، كما في حديث أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم: ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة

والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» (صحيح البخاري ٤٦٦٢، ومسلم ١٦٧٩).

قال النووي رحمه الله في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم: "«ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان». قال: وانما قيّده هذا التقييد مبالغة في إيضاحه وازالة اللبس عنه. قالوا: وقد كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب، فكانت مضر تجعل رجبًا هذا الشهر المعروف الآن هو الذي بين جمادى وشعبان، وكانت ربيعة تجعله رمضان، فلهذا أضافه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مضر" (شرح النووي على مسلم، ج١١/ ١٦٨).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث متواليات»، إبطال لما كان يفعله أهل الجاهلية من تقديم بعض الأشهر وتأخير بعضها؛ حيث كانوا يجعلون المحرم صفرًا ويجعلون صفرًا المحرم. وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله: لطيفة عن بعض أهل العلم في ترتيب هذه الشهور هكذا قال فيه: «لما كان الأشهر الحرم مزية على ما عداها؛ ناسب أن يبدأ بها العام وأن تتوسطه وأن تختم به» (فتح الباري، ج٨/ ٢٢٥).

وقد ذكر ابن كثير عن السخاوي-رحمهما الله تعالى- أن المحرم سمي بذلك لكونه شهرًا محرمًا، ثم قال ابن كثير: وعندي أنه سُمِّي بذلك تأكيدًا لتحريمه؛ لأن العرب كانت تتقلب به، فتحله عامًا وتحرمه عامًا (تفسير ابن كثير، ج٢/٤٨٣).

وقد أضاف النبي صلى الله عليه وسلم شهر محرم إلى الله كما في صحيح مسلم برقم (١١٦٣) لشرفه ومكانته؛ لأن المضاف إلى الله نوعان: إضافة صفة إلى موصوف كعلم الله وقدرة الله وسمع الله، فهذه صفات رب العباد قائمة به، وهذه تدلَ على كمال الله وعظمته سبحانه وتعالى، واضافة أعيان قائمة بذاتها، كبيت الله وناقة إلى الله، فهذه الإضافة تقتضي تشريف وعلو شأن المضاف إليه سبحانه وتعالى.

قال ابن رجب رحمه الله: "وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم المحرم شهر الله واضافته إلى الله يدل على شرفه وفضيلته، فإنه تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته، كما نسب محمد أو إبراهيم واسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إلى عبوديته، ونسب إليه بيته وناقته" (لطائف المعارف: ص٥٥).

فضل الصيام في المحرم:

وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تفيد أن أفضل ما تطوع به العبد من الصيام بعد شهر رمضان: صوم شهر الله المحرم، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد المفروضة صلاة الليل» (صحيح مسلم ١١٦٣).

قال النووي رحمه الله في شرح قوله عليه الصلاة والسلام: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم» تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم، وقد سبق الجواب عن إكثار النبي صلى الله عليه وسلم من صوم شعبان دون المحرم، وذكرنا فيه جوابين: أولهما: لعله علم فضله في آخر حياته. والثاني: لعله كان يعرض فيه أعذار من سفر أو مرض أو غيرهما (شرح النووي على مسلم، ج٨/٥٥).

كما لا يتعارض ذلك مع ما جاء من فضل صيام أيام أخر من غير المحرم، كالذي ورد في صيام ستة أيام من شوال أو صيام يوم عرفة، وقد صحت الأحاديث بذلك وفضل الله واسع، وقد ذكر ابن رجب رحمه الله أن التطوُّع بالصيام يقع على نوعين: أحدهما: التطوع المطلق بالصوم، وهذا أفضله المحرم، والثاني: ما صيامه تبع لصيام رمضان قبله وبعده، وهذا ليس من التطوع المطلق (انظر: كتاب لطائف المعارف: ص٥٢).

فضل يوم عاشوراء:

يوم عاشوراء يوم عظيم وله مكانة كبيرة في الإسلام، وقد صحَّ الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن صيامه يكفر السنة التي قبله، كما في حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، وصيام يوم عرفه أحتسب على الله أن

يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» (صحيح مسلم ١١٦٢).

كما كان أهل الجاهلية يعظمونه ويصومونه، كما في حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها. قالت: «كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه» (صحيح البخاري ٢٠٠٢، صحيح مسلم ١١٢٦).

ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود يصومون ذلك اليوم، كما في حديث ابن عباس في الصحيحين قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح؛ هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: فإنا أحق بموسى منكم، فصامه، وأمر بصيامه (صحيح البخاري: ٢٠٠٤). في رواية مسلم، فصامه موسى شكرًا لله فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم» (صحيح مسلم ١١٣٠).

كما أنه صلى الله عليه وسلم عزم في نهاية عمره على صيام التاسع والعاشر مخالفة لأهل الكتاب، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع. قال: فلم يأتِ العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم» (صحيح مسلم ١١٣٤).

فهنيئًا لمن صام هذا اليوم امتثالا لأمر وفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وطلبًا للأجر من الله، والفوز بتكفير ذنوب عام كامل. أسأل الله العون على فعل ما يحبه ويرضاه.

وقفة: «نحن أحق وأولى بموسى منكم»:

هذا القول منه صلى الله عليه وسلم يدل على مكانة هذه الأمة، ودورها في تقدير وحفظ مكانة الأنبياء والمرسلين السابقين، ومن المعلوم أن من أصول ديننا الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين السابقين، وقد تميزت هذه الأمة بذلك ونالت درجة رفيعة به.

قال تعالى: «ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ» (البقرة: ٢٨٥).

وقد صرح القرآن الكريم أن أولى الناس بإمام الملة الحنيفية خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام هي أمة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: «إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ» (آل عمران: ٦٨).

ولذلك رفع الله شأن هذه الأمة وأشهدها على من تقدمها من الأمم. قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة: ١٤٣)؛ وفي السنة ما يدل على ذلك، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ» (صحيح البخاري ٤٨٨٧).

وقد أخرج ابن أبي حاتم- بسند جيد-عن أبي بن كعب أنه قال: «كانوا شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب، وغيرهم أن رسلهم بلغتهم، وأنه كذبوا رسلهم» (انظر: فتح الباري ج٨/ ١٧٢).

ونحمد الله-جل ثناؤه- أن جعلنا خير أمة، ويمكنني القول: إن أمة آخر الزمان هي أمة الزمان كله، والحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

الهجر.. والهجرة والمهاجر

الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد: فإن الهجرة شرف عظيم، ومنزلة رفيعة نالها المهاجرون ! ومع بداية عام هجري جديد يتجدد الحديث عن الهجرة. ونتناول في هذا البحث الموجز - بإذن الله - ثلاث كلمات يدور الحديث حولها ؛ وهي الهجر، والهجرة، والمهاجر، فنقول مستعينين بالله:

بقلم: **الشيخ صفوت الشوادفي**
رحمه الله

الهجْر والهجران: مفارقة الإنسان غيره ؛ إمَا بالبدن أو باللسان أو بالقلب، قال تعالى: «وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ» (النساء: ٣٤)، فهذا هجر بالبدن، بمعنى عدم القَرب في الفراش.

وقال تعالى: «وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» (الفرقان: ٣٠)، فهذا هجر بالقلب، أو بالقلب واللسان.

وقال تعالى: «وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً» (المزمل: ١٠)، وهذا يحتمل هجر القلب أو اللسان أو البدن أو الثلاثة معًا، ومثله قوله تعالى: «وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا» (مريم: ٤٦)، وأما قوله تعالى: «وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ» (المدثر: ٥)، فهذا أمر بالمفارقة والمتاركة بالوجوه كلها مع السخط والنفور.

وأما الهجرة التي تحدث عنها القرآن الكريم وسمى أهلها مهاجرين فمعناها: الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان.

أو: انتقال المؤمن بدينه من بلد الفتنة والخوف إلى بلد يأمن فيه على نفسه ودينه، كما حدث في الهجرة إلى الحبشة، وكذلك الهجرة من مكة إلى المدينة.

وقد تحدث العلماء - قديمًا - عن الهجرة وما يتعلق بها، وكذلك عن الهجر والمهاجر، ونسوق - هنا - للقارئ الكريم جملة من لطائف المعارف، وفرائد الفوائد، رؤوس المسائل التي تمس الحاجة إلى معرفتها، بغير تطويل ممل، ولا اختصار مخلّ !

المسألة الأولى: قال ابن القيم - رحمه الله -: (وله - أي للمؤمن - في كل وقت هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل، والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء، والإقبال عليه، وصدق اللجوء والافتقار في كل نفَس إليه... وهجرة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة ؛ بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محاب الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد) !!

الثانية: ذكر العلامة أبو بكر ابن العربي المالكي - رحمه الله - أنواع السفر التي يسافرها البشر، فنقل عن العلماء تقسيمًا بديعًا عجيبًا غريبًا ! فقال - رحمه الله -: قسم العلماء رضي الله عنهم الذهاب في الأرض قسمين: هربًا وطلبًا !!

فالأول - أي الهرب - ينقسم إلى ستة أقسام:

١- الهجرة: وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام؛ وكانت فرضًا في أيام النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن بقي في دار الحرب عصى؛ ويختلف في حاله - أي حكمه.

٢- الخروج من أرض البدعة؛ قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: (لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسب فيها السلف). قال ابن العربي: وهذا صحيح؛ فإن المنكر إذا لم تقدر أن تغيره فزُل عنه! قال الله تعالى: «وَإذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ في آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ في حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (الأنعام: ٦٩).

٣- الخروج من أرض غلب عليها الحرام؛ فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم.

٤- الفرار من الأذية في البدن؛ وذلك فضل من الله أرخص فيه؛ فإذا خشي على نفسه فقد أذن الله له في الخروج عنه، والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور، وأول من فعله إبراهيم عليه السلام؛ فإنه لما خاف من قومه قال: «إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي» (العنكبوت: ٢٦)، وقال: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ» (الصافات: ٩٩)، وقال الله مخبرًا عن موسى عليه السلام: «فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ» (القصص: ٢١).

٥- خوف المرض في البلاد الوَخِمة، والخروج منها إلى الأرض النزهة!

وقد أذن صلى الله عليه وسلم للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح (المكان الذي ترعى فيه الأنعام) فيكونوا فيه حتى يصحوا.

وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون؛ فمنع الله منه بالحديث الصحيح عن نبيه صلى الله عليه وسلم.

٦- الفرار خوف الأذية في المال؛ فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله وأوكد...

وأما قسم الطلب - أي القسم الثاني - فينقسم قسمين: طلب دين، وطلب دنيا، فأمّا طلب الدين فيتعدد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام:

١- سفر العِبْرة؛ قال الله تعالى: «أَوَلَمْ يَسِيرُوا في الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» (الروم: ٩) وهو كثير. ويقال: إن ذا القرنين إنما طاف الأرض ليرى عجائبها، وقيل: لينفذ الحق فيها.

٢- السفر للحج، والأول وإن كان ندبًا - أي مستحب - فهذا فرض.

٣- سفر الجهاد، وله أحكامه.

٤- سفر المعاش؛ فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه لا يزيد عليه من صيد أو احتطاب أو احتشاش فهو فرض عليه!!

٥- سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وذلك جائز بفضل الله سبحانه وتعالى؛ قال الله تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ» (البقرة: ١٩٨) يعني التجارة، وهي نعمة منّ الله بها في سفر الحج؛ فكيف إذا انفردت!

٦- السفر في طلب العلم؛ وهو مشهور. (يعني في زمانه، وليس زماننا).

٧- قصد البقاع؛ قال صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

٨- السفر للثغور للرباط بها وتكثير سوادها للذب عنها.

٩- زيارة الإخوان في الله

تعالى؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «زار رجل أخًا له في قرية، فأرصد الله له ملكًا على مدرجته، فقال: أين تريد؟ فقال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربُها عليه؟ قال: لا؛ غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه». رواه مسلم وغيره.

الثالثة: قال الخطابي - رحمه الله -: (كانت الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام مطلوبة، ثم افترضت - أي صارت فرضًا - لما هاجر إلى المدينة، للقتال معه صلى الله عليه وسلم، وتعلم شرائع الدين، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر، فقال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ» (الأنفال: ٧٢)، فلما فتحت مكة، ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب). اهـ.

قال البغوي في «شرح السنة» وهو يجمع بين انقطاع الهجرة واستمرارها، قال: لا هجرة بعد الفتح؛ أي من مكة إلى المدينة، ولا تنقطع الهجرة من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام.

وقال الماوردي: (إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام؛ فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام).

الرابعة: قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في بيان معنى (لا هجرة بعد الفتح) من صحيح البخاري: (لا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة:

الأول: قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه، ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة.

الثاني: قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها - أي البلد الذي سيهاجر إليه - ومعونتهم، وجهاد الكفار والأمن من غدرهم، والراحة من رؤية المنكر بينهم.

الثالث: عاجز بعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه، وتكلف الخروج منها أجر). اهـ. من فتح الباري (ج ٦).

الخامسة: قال ابن مفلح - رحمه الله - في بيان حكم هجر أهل المعاصي: يُسنُّ هجر من جهر بالمعاصي الفعلية والقولية والاعتقادية، وقيل: يجب إن ارتدع به، وإلا كان مستحبًا، وقيل: يجب هجره مطلقًا إلا من السلام بعد ثلاثة أيام، وقيل: ترك السلام على من جهر بالمعاصي حتى يتوب منها فرض كفاية، ويكره لبقية الناس تركه. ونقل عن الشيخ موفق الدين - رحمه الله - قوله: (كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع، والنظر في كتبهم، والاستماع لكلامهم). قلت - القائل الكاتب -: وهذا يعني أنهم علماء سوء ودعاة بدعة وضلالة.

أما غير المجاهر بالمعاصي، وهو من يفعل المعصية سرًا فقد سئل الإمام أحمد: إذا علم من الرجل الفجور أنخبر به الناس؟ قال: لا، بل يستر عليه إلا أن يكون داعية. وقال القاضي: فإن كان يستتر بالمعاصي فظاهر كلام أحمد أنه لا يهجر.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (المستتر بالمنكر ينكر عليه ويستر عليه، والمظهر للمنكر يجب الإنكار عليه علانية،

ولا يبقى له غيبة). وذكر المهدوي في «تفسيره»: إنه لا ينبغي لأحد أن يتجسس على أحد من المسلمين، فإن اطلع منه على ريبة وجب أن يسترها ويعظه مع ذلك ويخوفه بالله تعالى).

أما هجر المسلم العدل في اعتقاده وأفعاله فقد ذكر العلماء أنه من كبائر الذنوب؛ لحديث: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث...» الحديث، ومعلوم أن السنة الصحيحة قد نهت عن المعاداة والمقاطعة، وأوجبت على المسلم أن يكون حبه في الله، وبغضه في الله، وقال النووي في «شرح مسلم»: قال العلماء رضي الله عنهم: إنما عفي عنها في الثلاثة؛ لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق، ونحو ذلك فعفي عنها في الثلاث ليزول ذلك العارض.

والهجر المحرم يزول بالسلام، ولا ينبغي له أن يترك كلامه بعد السلام عليه، وظاهر كلام الإمام أحمد - كما نقله العلماء - أنه لا يخرج من الهجرة بمجرد السلام، بل يعود إلى حاله مع المهجور قبل الهجرة...

السادسة: قال العلاّمة محب الدين الخطيب - رحمه الله -: نحن محتاجون اليوم - من معاني الهجرة وأهدافها وحكمتها - إلى أن نتخلع في بيوتنا عن الآداب التي تخالف الإسلام، وأن نعيد إلى هذه البيوت الصدق والصراحة والنبل والاستقامة والاعتدال والمحبة والتعاون على الخير. فالبيت الإسلامي وطن إسلامي، بل هو دولة إسلامية، وقبل أن أتبجح فأنتقد ما خرج عن دائرتي من بيئات لا يفيدها انتقادي شيئًا، يجب عليَّ أن أبدأ بمملكتي التي هي بيتي فأهاجر أنا ومن فيه من زوجة وبنات وبنين إلى ما يحبه الله من الصدق، هاربين من الكذب الذي يكرهه الله ويلعن أهله في صريح كتابه، ويجب أن أنخلع أنا وأهل بيتي من رذيلتي الإفراط والتفريط فنكون معتدلين في كل شيء؛ لأن الاعتدال ميزان الإسلام، ويجب أن نحب أنظمة الإسلام وآدابه محبة تمازج دماءنا، فنتحرى هذه الأنظمة في أخلاقنا وأحوالنا وتصرفاتنا ومعاملة بعضنا لبعض، (هاجرين) كل ما خالفها مما اقتبسناه عن الأغيار وخَذَلْنا به مقاصد الإسلام فضيعنا أغراضه الجوهرية.

إذا تربينا في بيوتنا على محبة الأنظمة الإسلامية، وتأصل ذلك في أذواقنا وميولنا، وتعودنا العمل به في مختلف ضروب الحياة، فشا العمل به حينئذ من البيوت إلى الأسواق والأندية والمجتمعات ودواوين الحكم، ولا يلبث الوطن كله بعد عشرات قليلة من السنين أن يتحول من وطن عاص لله، إلى وطن مطيع لله، ومن وطن تسود فيه الأنظمة التي يسخطها الله، إلى وطن تسود فيه الأنظمة التي أمر بها الله.

فإلى الهجرة أيها المسلمون...

إلى هجر الخطايا والذنوب في أعمالنا، وأخلاقنا، وتصرفاتنا.

إلى هجر ما يخالف أنظمة الإسلام في بيوتنا، وما نقوم به من أعمالنا.

إلى هجر الضعف والعطالة والإهمال والسرف والكذب والرياء ووضع الأشياء في غير مواضعها.

إلى هجر الأنانية والصغائر والسفاسف مما أراد نبي الرحمة أن يطهر منه نفوس أمته، حتى تكون خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لها.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

باب التفسير

سُورَةُ الحُجُرات

(٥)

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

قال الله تعالى: « وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »

(الحجرات: ٩، ١٠).

وُجوبُ الإصْلاح بيْنَ النّاس:

هَذه قَاعدَةٌ تَشْريعيَّةٌ عَمليّةٌ لصيَانة المُجْتمَع المُؤمن منَ الْخصَام والتّفكُّك، وَفي مَجيئها عقبَ الأمْر بالتّثبُّت منْ نبأ الْفَاسق إشَارةٌ إلى أنَّ الانْدفَاعَ وَرَاءَ الْحميّة والْحمَاسَة قَبْل التّثبُّت من الأَخْبَار قَدْ يُؤدّي إلَى الْقتَال، فَتُزْهَقُ الأنْفُسُ، وَتُراقُ الدّمَاءُ منْ غَيْر مَا ذَنْب وَلا جَريمَة، «فَتُصْبحُوا عَلى مَا فعَلتُمْ نَادمين».

«إنَّ الشَّيْطانَ قَدْ أَيسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصلُّونَ في جَزيرَة العَرب وَلكنْ في التَّحْريش بيْنَهُمْ» (صحيح مسلم ٢٨١٢)؛ أيْ وَلَكنَّهُ يَسْعَى في التَّحْريش بَيْنَهُمْ بالْخُصُومَات وَالشَّحْنَاء وَالْحُرُوب وَالْفتَن وَغَيْرهَا، فَشَيْطانُ الْجنّ يُحَرّش بَيْنَ الْمُؤمنين، وَيَنْزغُ بَيْنَهُمْ، وَلَهُ أَعْوَانٌ منْ شَيَاطين الإنْس، يُزْعجُهُمْ أنْ يرَوْا الْمُسْلمينَ أُمَّةً وَاحدَةً، يَسْعَى بذمَّتهمْ أدْنَاهُمْ، وَإذا اشْتَكَى أقْصَاهُمْ اشْتَكَى له أَدْنَاهُمْ، وَلذا فَهُمْ أبَدًا حَريصُونَ عَلى الإيقَاع بَيْنَ الْمُسْلمينَ، وَتَفْريق كَلمَتهمْ، وَتَمْزيق شَمْلهمْ، فَعَلى الْمُسْلمينَ أنْ يَأخُذوا حذْرَهُمْ، وَأنْ يَعْمَلُوا جَاهدينَ عَلَى تَثْبيت الأُخُوَّة بَيْنَهُمْ، فَإذا مَا بَدَتْ عَوَامل الْخلاَف سَعَوْا في الْقَضَاء عَلَيْهَا.

فَإذَا حَصَل قتَالٌ بَيْنَ طَائفَتَيْن فَعَلى سَائر الْمُسْلمينَ أنْ يُصْلحُوا بَيْنَهُمَا فَإنْ بَغَتْ إحْدَاهُمَا عَلى الأُخْرَى، وَجَبَ عَلَى الْمُسْلمينَ قتَالُ الْفئَة الْبَاغيَة حَتَّى تَفيءَ إلَى أَمْر الله. فَإنْ فَاءَتْ أَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بالْعَدْل، فَلَيْسَ الْمُرَادُ مُجَرَّدَ الصُّلح، وَلَكنَّ الْمُرَادَ صُلْحٌ يَقُومُ عَلى الْعَدْل، لا عَلَى الظُّلْم وَالْحَيْف، «فَأَصْلحُوا بَيْنَهُمَا بالْعَدْل وَأَقْسطُوا إنَّ اللهَ يُحبُّ الْمُقْسطينَ». قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الْمُقْسطينَ عنْدَ الله عَلَى مَنَابرَ منْ نُورٍ عَنْ يَمين الرَّحْمَن عز وجل وَكلْتَا يَدَيْه يَمينٌ الَّذينَ يَعْدلُونَ في حُكْمهمْ وَأَهْليهمْ وَمَا وَلُوا» (صحيح مسلم ١٨٢٧).

«إنَّمَا الْمُؤْمنُونَ إخْوَةٌ»: هَذا عَقْدٌ عَقَدَهُ الله بَيْنَ الْمُؤْمنينَ، فَأيُّمَا مُؤْمن بمَشْرق الأَرْض كَانَ أَوْ بمَغْربهَا فَهُوَ أَخٌ للْمُؤْمنينَ، وَمنْ مُقْتَضيَات هَذه الأُخُوَّة أنْ يَكُونَ الْحُبُّ وَالسَّلامُ، وَالتَّعَاوُنُ وَالْوَحْدَةُ، هيَ الأَصْل في الْجَمَاعَة الْمُسْلمَة، وَأنْ يَكُونَ الخلاَفُ أو الْقتَالُ هُوَ الاسْتثْنَاءَ الَّذي يَجبُ

أَنْ يُرَدَّ إِلَى الأَصْلِ فَوْرَ وُقُوعِهِ، وَمِنْ مُقْتَضَيَاتِ هَذِهِ الأُخُوَّةِ أَنْ يُحِبَّ الْمُؤْمِنُ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ.

وَمَرَّةً ثَانِيَةً يَأْمُرُ اللهُ بِالإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِتَقْوَاهُ، وَالتَّقْوَى هِيَ الَّتِي تُعِينُ عَلَى الائْتِمَارِ بِمَا أَمَرَ اللهُ، وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ إِصْلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ سَبَبٌ لِرَحْمَتِهِ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ إِفْسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ سَبَبٌ لِغَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».

فَبِالإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ تَعُمُّهُمُ الرَّحْمَةُ، وَتَسُودُهُمُ الْمَوَدَّةُ، وَتَخْتَفِي مِنَ الْمُجْتَمَعِ بُذُورُ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ، فَإِنَّ الْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ عَذَابٌ، وَالاجْتِمَاعَ وَالأُلْفَةَ رَحْمَةٌ.

وَوَعَدَ سُبْحَانَهُ الْمُصْلِحِينَ بِالأَجْرِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى: (لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء:١١٤)؛ قَالَ الطَّبَرِيُّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ) هُوَ الإِصْلَاحُ بَيْنَ الْمُتَبَايِنَيْنِ أَوِ الْمُتَخَاصِمَيْنِ بِمَا أَبَاحَ اللهُ الإِصْلَاحَ بَيْنَهُمَا لِيَرْجِعَا إِلَى الأُلْفَةِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ عَلَى مَا أَذِنَ اللهُ وَأَمَرَ. (جامع البيان: ٢٧٦/٥)

وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمَيْنِ وَيَسْعَى إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ لإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ؛ فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ» (صحيح البخاري ٢٦٩٣).

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يُرَغِّبُ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَيَحُثُّ عَلَيْهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (صحيح البخاري ٢٩٨٩).

وَبَيَّنَ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الصَّدَقَةَ الأُولَى مِنْ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ هِيَ أَفْضَلُهَا فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ». (صحيح الترغيب:٢٨١٧).

كَمَا بَيَّنَ صلى الله عليه وسلم أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ هَذِهِ الصَّدَقَةَ فَقَالَ لأَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عنه: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ؟ أَنْ تُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا وَتَفَاسَدُوا» (صحيح الترغيب:٢٨٢٠).

بَلْ إِنَّهُ صلى الله عليه وسلم عَدَّ إِصْلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلَ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ» (صحيح أبي داود:٤١١١).

وَإِنَّمَا كَانَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلَ مِنْ نَوَافِلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ لِمَا فِيهِ مِنْ عُمُومِ الْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، مِنَ التَّعَاوُنِ وَالتَّنَاصُرِ، وَالأُلْفَةِ وَالاجْتِمَاعِ عَلَى الْخَيْرِ، وَكَثْرَةِ مَا يَنْدَفِعُ مِنَ الْمَضَرَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ، بِتَشَتُّتِ الْقُلُوبِ، وَوَهَنِ الأَدْيَانِ مِنَ الْعَدَاوَاتِ وَتَسْلِيطِ الأَعْدَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْحُسَّادِ، فَلِذَلِكَ صَارَتْ أَفْضَلَ الصَّدَقَاتِ. (الفتح الرباني: ٧٢/١٩و٧٣).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

حادث الفيل

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ختم الله به النبوة والرسالة وأرسله رحمة للعالمين وهداية للخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فحادث الفيل هو الحادث الذي عرف في التاريخ بهجوم جيش أبرهة الأشرم الحبشي على مكة المكرمة بهدف هدم الكعبة المشرفة، وقد جهَّز لهذا الغرض جيشًا ضخمًا في عدده وعُدته لا قِبَل لأهل مكة بمواجهته، وزوَّد هذا الجيش بمجموعة من الفيلة الضخمة، وعلى رأسها فيل هو الأضخم أطلق عليه اسم: محمود. وقد وثَّق القرآن الكريم هذا الحدث الضخم في سورة مكية من قصار السور تسمى: سورة (الفيل) أو سورة: «أَلَمْ تَرَ». وبعون الله نقف مع هذا الحدث وقفات:

أولا: تاريخ وقوعه:

وقعت قصة حادث الفيل في شهر المحرم الموافق لشهر فبراير سنة ٥٧٠ من الميلاد، وقد اتفق المؤرخون على تسمية هذا العام بعام الفيل. وقال الإمام ابن عاشور في تفسيره: "وقد وُلدَ النبي صلى الله عليه وسلم بعد خمسين يومًا من وقوع هذا الحادث، وهذا على أصح أقوال المؤرخين وكُتَّاب السيرة" (راجع التحرير والتنوير).

ثانيا: أهميته وتوثيق القرآن له:

توثيق القرآن لهذا الحادث يدل على حقيقة وقوعه وعلى أهميته من عدة جوانب:

الأول: مكانة هذا البيت الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وأن الله سبحانه وتعالى جعله مثابة للناس وأمنًا، وقد نص على ذلك صراحة في قوله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» (البقرة: ١٢٥)؛ ولكنَّ الحبشي أراد أن ينفِّر الناس عنه، ويجعله مصدر فزع لهم.

الثاني: قد جعل الله هذا البيت مصدر هداية للعالمين ورمزًا لدينه في الأرض من لدن آدم، ومرورًا بإبراهيم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ» (آل عمران: ٩٦)، ولهذا تولَّى سبحانه وتعالى حفظه.

الثالث: اختار الله مكة لانبعاث الرسالة الخاتمة منها، وقدَّر الله ميلاد خاتم النبيين بجوار بيته الحرام في البلد الأمين، واختار محمدًا صلى الله عليه وسلم من ولد إبراهيم ومن نسل إسماعيل ومن قريش، وكان هذا الحادث من إرهاصات النبوة، ومن الآيات التي سبقت مولده صلى الله عليه وسلم وكان في إهلاك هذا الجيش تعظيم لهذا البيت، ودليل على حفظ الله له ولشرف المولود في هذا العام وشرف مكة وتشريفًا لمكانة قريش والتي كانت لها سدانة هذا البيت من القدم.

الرابع: إهلاك الأحباش دون تدخُّل بشريّ يدل على حفظ الله لدينه المتمثل في أتباع إبراهيم وانتقال إمامة الدين من نسل إسحاق إلى نسل إسماعيل، واستجابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل حيث قالا وهما يرفعان القواعد من هذا البيت العتيق: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (البقرة: ١٢٩).

فحفظ الله البيت الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل، وحفظ الله المكان الذي سيُولد في كنفه الرسول الذي سيبعثه الله من هذا المكان رحمة للعالمين، ولفت أنظار العالم بأسره إلى هذا المكان وهذا البيت وهذه القبيلة وتحققت دعوة إبراهيم وإسماعيل ولو بعد حي، في الزمان الذي اختاره الله والمكان الذي هيَّأه وحفظه.

ثالثا: نظرة إجمالية من خلال القرآن والسيرة والسنة:

١) من القرآن الكريم:

قال تعالى: «أَلَمْ تَـرَ»: والخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكل من يسمع إلى قيام الساعة. والمقصود: ألم تسمع. ألم تعلم. وعدل القرآن عن التعبير بالسمع والعلم إلى التعبير بالرؤية؛ ليؤكد أن الخبر الذي يساق مساق الرؤيا، وهذا نوع من التوكيد في سوق الخبر. وهو استفهام تقريري يقرِّر الحقيقة الصادقة التي لا مجال لإنكارها وقد تواترت بها الأخبار.

«كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» والسؤال هنا: كيفية الفعل وليس عن الفعل ذاته فالحادث قد وقع وتواترت به الأخبار، ويعلمه القاصي والداني، ولعل في الأحياء من أهل مكة من رأى هذا الحدث أو سمع عنه ممَّن عاشه وعاصره. والسؤال عن الكيفية؛ لأنها عجيبة، لكنها

من آيات الله الباهرة وقدرته الظاهرة على إهلاك الظالمين بوسائل قد لا تخطر لهم ولا لغيرهم على بال.

«أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ»، أي: قد جعل الله ما خططوا له من هدم الكعبة هباء.

يعني: قد منعهم الله مما عزموا عليه وجاؤوا لتحقيقه وأهلكهم عن آخرهم.

«وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ»، وكانت وسيلة الإهلاك أن أرسل الله عليهم جماعات من الطير تحمل حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين، تحصدهم حصدًا.

«فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ»، أي: جعلهم كورق الزرع الذي يبقى في الأرض بعد الحصاد تعصفه الرياح وتأكله الماشية. وهكذا عبر القرآن الكريم في غاية الإيجاز والإعجاز عن مصير جيش أبرهة الأشرم الذي أراد هدم الكعبة قد سلط عليهم بعض جنده فأبادهم جميعًا ومن لم يمت في حينه مات في طريق عودته. وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أقبل أصحاب الفيل حتى دنوا من مكة فاستقبلهم عبد المطلب فقال لملكهم: ما جاء بك إلينا ما عناك إلا بعثت فنأتيك بكل شيء أردت. فقال: أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلا آمن، فجئت أخيف أهله. فقال عبد المطلب: إنا نأتيك بكل شيء تريد فارجع. فأبى إلا يدخله وانطلق يسير نحوه. وتخلف عبد المطلب. فقام على جبل فقال: لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله، ثم أنشأ يقول:

اللهم إن لكل ملك
حلالاً فامنع حلالك
لا يغلبن محالهم
أبدًا محالك
اللهم إن فعلت
فأمر ما بدا لك

فأقبل مثل السحابة من نحو البحر حتى أظلتهم طيرًا أبابيل. التي قال الله عز وجل: «تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ» فجعل الفيل يعج عجًا كعصف مأكول (المستدرك: رقم ٣٩٧٤. وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي).

وقوله: (فجعل الفيل يعج عجًا كعصف مأكول)، هذه إشارة إلى ما أصاب الفيلة ذات الأجسام الضخمة من الاحتراق الذي تصيح صياحًا شديدًا، وتضرب الأرض بأقدامها هياجًا حتى احترقت عن آخرها وتلاشت، وصارت كأنها لم تكن.

وابن عباس حين يذكر ما أصاب الفيلة ذات الأجساد الضخمة فهو أولى بباقي الجنود ذات الأجسام الأقل حجمًا، وكانت الفيلة من أهم الأسلحة التي استقدمها أبرهة، وكان من بين هذه الفيلة فيل شديد الضخامة يقال له: محمود وقد أورد هذه التسمية جمع من المؤرخين وكُتّاب السيرة منهم: الطبري، وابن الجوزي،وابن كثير وغيرهم، وذكر ابن إسحاق في السيرة: أن أبرهة لما أصبح تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبأ جيشه، وكان اسم الفيل محمودًا وأبرهة يجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي، حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمودًا أو ارجع راشدًا من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام فبرك الفيل.

وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا في رأسه بالفأس ليقوم، فأبى، وحاولوا معه كثيرًا؛ فأبى، فوجهوه راجعًا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك فأرسل الله عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار يحملها؛ حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم

أحـدًا إلا هلك. فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك، وفي معاني القرآن للزجاج: أن دوابهم لم تسر نحو البيت فإذا عطفوها راجعين سارت فوعظهم الله تعالى بأبلغ موعظة، أما الفيل فقد نجّاه الله لما وقع منه من الفعل الجميل الذي لم يقع مثله من العقلاء، ولذا قال البوصيري:

كم رأينا ما ليس يعقِل قد
ألهم ما ليس يلهم العقلاء
أبى الفيل ما أتى صاحب الفيل
ولم ينفع الحجا والذكاء

هـذا ما ذكـره بعض أصحاب السير وبغض النظر عـن صحة قصة نفيل بـن حبيب وحديثه مع الفيل؛ فقد جاء في صحيح السنن أن هذه الدواب مأمورة بأمر الله وملهمة بوحي منه سبحانه وتعالى، ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري عندما بركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، وتأخرت عن دخول مكة يوم الحديبية: قالوا: خلأت القصواء، أي تمردت واستعصت وتركت السير فقال النبي: «ما خلأت القصواء وما ذلك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس الفيل» كما جاء في الصحيحين البخاري ومسلم في يوم الفتح قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلَّط عليها رسوله والمؤمنين».

رابعًا: الدروس والعبر:

١) نأتي الآن إلى جني الثمار والدروس المستفادة من عرضنا لهذه الأحداث التاريخية المهمة، وقبل الدخول في المستفاد من الدروس دعونا نرد على شبهات آثارها بعض المفسرين رحمهم الله، وليتهم ما فعلوا؛ فقد جعلوا عقولهم هي الحاكمة على النص القرآني ولم تستوعب عقولهم إرسال الطير الأبابيل التي رمت القوم بحجارة من سجيل وأولوها بأن الله سلط عليهم مرض الجدري وهـؤلاء يقال لهم، هل أصابهم الجدري من نفسه أم سلطه الله؟

ولماذا قبلتم الجدري ورفضتم جماعات الطير التي سلَّطها الله بحجارة من عنده؟ وهل قبلت عقولكم الآن ما يحدث في الحروب الحديثة من تصويب دقيق موجَه لا يكاد يخطئ في إصابة هدفه ومن قنابل عنقودية وغيرها؟

والمشكلة تكمن في أن البعض يحاول إخضاع الشرع للعقل والمفروض هو اجتهاد العقل في فهم النص بما صح من أدلة في الكتاب والسنة؛ فإن عجز العقل عن استيعاب ما جاء فليسلم لما صح عن الله ورسوله ولفهم السلف الصالح، ثم ما الذي يمنع القرآن من التصريح بما سلطه على القوم لو كان الجدري أو غيره، ولأن الله يفعل ما يشاء ولا يمنعه مانع من التصريح بما فعل فهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير أهلك أقوامًا بحجارة أمطرها عليهم بطير أو بغير طير وأهلك أقوامًا بالخسف وآخرين بالغرق وآخرين بالصيحة فله جنود السماوات والأرض، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

٢) من سنن الله في خلقه: إهلاك الظالمين في الدنيا أو يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار؛ فقد أهلك عاداً وثموداً وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد وسلط عليهم سوط عذاب وغيرهم، وقد يؤخر بعضهم ليوم تشخص فيه الأبصار كما قال تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ» (إبراهيم: ٤٢).

٣) لقد ظلم أبرهة نفسه وظلم غيره واتبع هواه وقدَّم طاعه سيده ومولاه قيصر الروم الذي ولاه على اليمن، وقدم الولاء له على الولاء للحق الذي أنزله الله؛ فهذا البيت العتيق رفع قواعده إبراهيم والمفروض منه ومن القيصر أنهم أتباع إبراهيم والله سبحانه وتعالى دعا اليهود والنصارى أن يتبعوا ملة إبراهيم حنيفًا وأن يعظموا البيت الذي بناه

إبراهيم وأن يحجوا إليه ويؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله في أكناف هذا البيت وجعله رحمة للعالمين، وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: «قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ» (آل عمران: ٩٥- ٩٧).

وأبرهة كان يعلم ذلك، وقال لعبد المطلب هذا: «أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلا أمن فجئت أخيف أهله»؛ إذن هو جاء متعمدًا تفزيع الآمنين بهدم البيت الأمين فاستحق العقوبة العاجلة من الله تعالى.

٤) في إهلاك أبرهة ومن على شاكلته برهان قاطع على أن الله بالغ أمره وناصر دينه وحافظ بيته الذي أقامه خليله إبراهيم ليكون هدى للعالمين، وفي كنفه يبعث خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، وقد فعل الله ذلك وأرسل رسوله، ومكّن له في الأرض، وفتح له البلد الأمين، وأكمل له الدين وأتم عليه النعمة ورضي له الإسلام دينًا الذي هو دين إبراهيم ودين إسماعيل وإسحاق ويعقوب ودين موسى وعيسى وجميع الأنبياء وأنزل الله على رسوله يوم عرفة في حجة الوداع قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأَسْلاَمَ دِينًا» (المائدة: ٣).

٥) وقد أنزل الله هذه السورة «سورة الفيل» ليذكره ويذكر قريش على وجه الخصوص بهذه النعمة العظيمة التي امتن بها عليهم، ولذلك جاءت سورة قريش في ترتيب المصحف بعد سورة الفيل لتحضَّ قريش على اتباع هذا النبي الذي وُلدَ في عام الفيل والذي جاء يدعوهم لعبادة الله وحده الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ ٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَـوْفٍ» (قريش: ٣، ٤). أمرهم بعبادة رب هذا البيت تذكيرًا لهم بحفظه هذا البيت وإهلاكه من أراده بسوء وهم ينظرون، وحفظ الحرم آمنًا إلى يومهم ذلك والناس يتخطفون من حولهم وهيأ لهم رحلتي الشتاء والصيف.

٦) تذكير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن العداوة لهذا البيت ولهذا الدين قائمة لا تتوقف إلى يوم القيامة وعلى المسلمين أن يخلصوا العبادة لرب هذا البيت ويعظموا بيته وينصروا دينه وإلا استبدلهم الله بقوم يحبهم ويحبونه.واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتِيه مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (المائدة: ٥٤). فالله سبحانه وتعالى فاعل ذلك لا محالة ناصر دينه لا محالة في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وقصة أصحاب الفيل خير شاهد على ذلك، وإن تخلى البشر عن نصرة الدين؛ فالله يتولى نصر دينه بجند ترونها أو لا ترونها وهكذا فعل مع أنبيائه وأوليائه ومع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم يوم أخرجه الذين كفروا ولجأ هو وصاحبه إلى الغار «فَأَنزَلَ اللَّـهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّـهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّـهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ٤٠).

وبعد: هذا ما تيسر إيراده في الزمان والمكان، وأسأل الله أن ينفعنا وإياكم به، ويمن علينا وعليكم بفضله سبحانه وتعالى. اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين وأقبضنا إليك غير مفتونين آمين.

والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

الكتاتيب القرآنية والتربية النبوية

إعداد:
د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُفَصَّلَ هُوَ الْمُحْكَمُ، قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ

التخريج:

صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن، باب تَعْلِيمِ الصِّبْيَانِ الْقُرْآن، حديث رقم ٤٧٦٦.

تنويهان:

الأول: وأكرِّر من باب التذكرة أننا قد اشترطنا على أنفسنا الاكتفاء بتخريج الحديث المشروح من الكتب الستة توسطًا لمنهج أهل الفن؛ إذ بعضهم يرى الاكتفاء بذلك، وبعضهم يرى التوسع وتخريج الحديث من كل مصادره الأصلية، وغيرهم يكتفي بالصحيحين أحدهما أو كليهما.

لذا اكتفيت بعزوه للبخاري؛ إذ لم أقف عليه في غيره من الكتب الستة، وإن كان في غيرهم كالطبراني وعند الحاكم في المستدرك.

الثاني: وقد حفَزني للبدء في شرح هذا الكتاب ما قرأته حديثًا من شرح لحديث منه لشيخنا سماحة الشيخ زكريا حسيني رحمه الله؛ عندما تعرَّض لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما أذنَ الله لشيءٍ كأذَنه لنبي يتغنَّى بالقرآن يجهر به»؛ ومعنى الأذِن: الاستماع للشيء، يعني: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي حسن الصوت، وفي رواية أخرى يتغنى بالقرآن، يعني: يجهر به، وانتهى فيه رحمه الله إلى ما خطه بيمينه أكرره لإفادتنا وصدقة له قال: «ومن ذلك يتبين لك أخي المسلم أن الله تعالى سميع بسمع، لا كما تقول المعتزلة سميع بلا سمع، ولا كما تقول الجهمية سميع بمعنى عليم، ولا كما تقول الأشاعرة سميع بلا أذن؛ فأما الأُذُنُ فإن لفظها لم يرد لا في كتاب ولا في سنة مضافًا إلى الله تعالى لا إثباتًا ولا نفيًا، فيجب علينا أن نسكت عنها ولا نلفظ

بها مضافة إلى ربنا جل وعلا لا إثباتًا ولا نفيًا، كما هو مقرّر أن ما أثبته الله عز وجل لنفسه أو أثبته له رسوله وجب علينا أن نثبته، وما نفاه الله عز وجل عن نفسه أو نفاه عنه رسوله وجب علينا أن ننفيه، وما لم يرد في الكتاب أو السنة لا إثباتًا ولا نفيًا وجب علينا أن نُمسك عنه ولا نتكلم به. والله عز وجل يعصمنا من الزلل، ويقينا الخطأ والخطل في الاعتقاد والعمل.

شرح الحديث:

١- قوله رحمه الله: باب تعليم الصبيان القرآن: أي: هذا بابٌ في بيان جواز تعْليم الصبيان القُرآن، وكأنهُ أشار بذلك إلى الرّد على من كره ذلك، وقد جاءت كراهية ذلك منهجًا تربويًا لا دليل لبعضهم (الفتح).

والتعليم في الصغر أدعى إلى ثبوته ورسوخه عندهم كما قيل: التعليم في الصغر كالنقش في الحجر. وقال بعضهم مما ذكره ابن الجوزي في كتابه: (تنبيه الغمر بمواسم العمر)، وبعدما ذكر أن مواسم العمر خمسة، وأن أولها مرحلة الصبا وأن هذه المرحلة وهذا الموسم يتعلق أكثر بالوالدين)، قال رحمه الله:

إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ... ولا يلين إذ قوّمته الخشب

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل ... وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

وقال القسطلاني: وعند ابن سعد بإسناد صحيح أن ابن عباس قال: «سلوني عن التفسير؛ فإني حفظت القرآن وأنا صغير».

وفي تهذيب النووي أن سفيان بن عيينة حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين، وقد جاء كراهية تعليم الصبيان القرآن عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي من جهة حصول الملال له، والحق أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص.

> “ التعليم في الصغر أدعى إلى ثبوته ورسوخه عندهم كما قيل: التعليم في الصغر كالنقش في الحجر. ”

(ينظر إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني المصري ج ١١ ص٣٠٩، ط دار الكتب العلمية).

فائدة:

وقصص السلف وتابعيهم من المعاصرين في ذلك ماتعة، ومناهج التربويين في طريقة التعليم ماتعة واسعة ولله الحمد، ولعله من حفظ الله لكتابه الذي وعد به، وانتشار دور التعليم والتحفيظ المقننة مبشرة يصل إليه إن شاء الله من نوى لله تعليم أبنائه.

ومطابقته للتَّرجَمة من حَيثُ إن ابن عبّاس، رَضي الله تَعالى عَنهُما، قرَأ المُحكم من القُرآن وعمره عشر سنين، ويُطلق عليه الغُلام.

٢- قوله: وعن سعيد بن جبير: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم: القائل هنا هو ....الذي سمع من سعيد التابعي تلميذ ابن عباس.

٣- قوْله: (قرأ المُحكم) وهُو الذي لا نسخ فيه، ويُطلق المُحكم على ضد المُتشابه في اصطلاح أهل الأصول، وهذا سعيد بن جُبير فسر المُفصل بالمحكم، وغيره فسّره بأنّهُ من الحجرات إلى آخر القُرآن على الصّحيح، وسُمّي بالمُفصل للسور الّتي كثرت فصولها فيه.

٤- قوْله: (وأنا ابْن عشر سنين)، وقد اخْتلف فيه، ففي روايَة البُخاريّ في الصّلاة من وجه آخر: أنه كان في حجّة الْوداع قد ناهز الاحْتلام، وفي روايَة أبي إسْحاق عن سعيد بن جُبير عنهُ: قُبض رسُول الله صلى الله عليْه وسلم وأنا ختين وكانُوا لا يختتنون الْغُلام حتّى يدرك، وفي لفظ: (وأنا ابْن خمس عشرة سنة).

وقال في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ج١١ ص٣٠٩ ط دار الكتب: «عن سعيد بن جبير قال: كان الذي تدعونه المفصل) بفتح الصاد المهملة المشددة الذي كثرت فصوله من السور، وهو من الحجرات إلى آخر القرآن على الصحيح

من عشرة أقوال (هو المحكم) الذي ليس بمنسوخ (قال) سعيد بن جبير: (وقال ابن عباس) رضي الله عنهما: (توفي رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم).

واستشكل القاضي عياض قوله: «وأنا ابن عشر» بما مر في الصلاة من وجه آخر أنه كان في حجة الوداع ناهز الاحتلام، وعنه أنه كان عند الوفاة النبوية ابن خمس عشرة.

وقال الفلاس ابن ثلاث عشرة.

وعند البيهقي أربع عشرة، وحكى الشافعي ست عشرة، وعند البيهقي أيضًا عنه أنه قال: قرأت المحكم على عهده -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأنا ابن اثنتي عشرة، وأجاب عياض باحتمال أن يكون قوله: «وأنا ابن عشر سنين» راجعًا إلى حفظ القرآن لا إلى الوفاة النبوية.

فالتقدير توفي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وقد جمعت المحكم وأنا ابن عشر سنين؛ ففيه تقديم وتأخير، وتعقبه العيني بأن الجملتين يعني قوله «وأنا ابن عشر سنين»، وقوله «وقد قرأت المحكم» وقعتا حالين، والحال قيد؛ فكيف يقال فيه تقديم وتأخير. اهـ.

وأجاب في الفتح بأنه يمكن الجمع بين مختلف الروايات بأنه كان حين الوفاة النبوية ابن ثلاث عشرة، ودخل في التي بعدها، فمن قال خمس عشرة جبر الكسرين، ومن قال ثلاث عشرة ألغى الكسر في التي بعدها، ومن قال عشرًا ألغى الكسر أصلاً. اهـ.

وقال الحافظ في الفتح: وَاخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ الْمُفَصَّلِ مَعَ الِاتِّفَاقِ عَلَى أَنَّهُ آخِرُ جُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى عَشَرَةِ أَقْوَالٍ ذَكَرْتُهَا فِي بَابِ الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ فِي الْمَغْرِبِ وذكرتُ قولا شاذا أنه جميع الْقُرْآنِ (ينظر الفتح ١٠٣ المجلد التاسع ط دار الكتب العلمية).

> من البشائر ولله الحمد ما نراه ونسمعه في بلادنا وكثير من البلاد الإسلامية من نشاط المدارس الدعوية المقننة في تعليم كتاب الله عز وجل، وما نرى من ثمار لهذا النشاط.

والخاتمة بشرى:

فمن البشائر ولله الحمد ما نراه ونسمعه في بلادنا وكثير من البلاد الاسلامية من نشاط المدارس الدعوية المقننة في تعليم كتاب الله عز وجل، وما نرى من ثمار لهذا النشاط من الأعداد المتكاثرة التي نراها، فضلاً عن الذي سمعنا ونسمع. وكل ذلك إنما هو بفضل الله أولاً، ثم بفضل مثل هذه المناشط التي تعتني بتحفيظ القرآن من مدارس ودور تحفيظ، والمنتشرة في ربوع البلاد، فجزى الله كل من أذن وساهم لهذا الخير الجاري أن ينتشر، وإن ذلك إنما يبشر بسلامة المنهج وحسن اتباع السلف.

هذا ولتمام الخير واتباع السنة فيه فإننا نتمنى على الله من هؤلاء المخلصين -كما استعملهم الله لتعليم كتابه- أن يعتنوا كذلك بتربية النشء على فهم القرآن، وتشجيعهم على تدبر معانيه، فإن الكثير إذا حفظ وتخرج توقف بعد ذلك، وربما نسي أو ظل يراجع ويجاهد نفسه جهادًا على تذاكره، ولو تفطن هؤلاء لتدبره ما نسوه، بل لسهل عليهم حفظه، ولتذوقوا معانيه وفرحوا به فرحًا عظيمًا.

أهمية فقه القرآن وفهمه:

وكذلك، لو تنبه القائمون على هذه المحاضن لتعليم النشء تدبر القرآن لوجدوا الإجابة الشافية الكافية لتساؤلاتهم الكثيرة حول ضعف إيمان بعض الطلاب في الحلق، وسوء أخلاق بعضهم وتساهل البعض، إلى غير ذلك مما نسمعه كلما جلسنا والتقينا.. أما السلف الصالح فقد تنبهوا إلى هذا، وفهموا أن المقصود من تلاوة القرآن ليس مجرد التلاوة وتحريك اللسان به دون فهم أو بيان. قال تعالى: «وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» (البقرة:٧٨). قال الشوكاني قيل:

(الأماني: التلاوة) أي: لا علم لهم إلا مجرد التلاوة دون تفهم وتدبر.

وقال ابن القيم: ذم الله المحرفين لكتابه، والأميين الذين لا يعلمون منه إلا مجرد التلاوة وهي الأماني.

> ذم الله المحرفين لكتابه، والأميين الذين لا يعلمون منه إلا مجرد التلاوة وهي الأماني.

ولما راجع عبد الله بن عمرو بن العاص النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن لم يأذن له في أقل من ثلاث ليالٍ، وقال: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» (النووي، الأذكار ص١٣٩)؛ فدل على أن فقه القرآن وفهمه هو المقصود بتلاوته لا مجرد التلاوة.

وروى حذيفة رضي الله عنه: «أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فكان يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوّذ»، فهذا تطبيق نبوي عملي للتدبر ظهر أثره بالتسبيح والسؤال والتعوذ. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ورُزِقُوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يُرْزَقُون العمل به. وفي هذا المعنى قال ابن مسعود: إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به» (الجامع لأحكام القرآن، ١/٣٩-٤٠ وانظر مجلة المجتمع عدد ١٢١٦).

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم لا يتجاوزون العشر آيات حتى يعلموا ما فيهن من العلم والعمل، كما نقل أبو عبد الرحمن السلمي عن عثمان وابن مسعود وأبي كعب رضي الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا» (الجامع لأحكام القرآن، ١/٣٩، وعزاه إلى كتاب أبي عمرو الداني البيان، والطبري، ١/٦٠).

وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعلمون التفسير مع التلاوة، «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (النحل:٤٤)، فكان البيان منه صلى الله عليه وسلم بالألفاظ والمعاني، «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» (محمد:٢٤)، والله تعالى يقول: «كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ» (ص:٢٩). وتدبروا هذا الموقف الذي يرويه المطلب بن عبد الله قال: «قرأ ابن الزبير رضي الله عنهما آية، فوقف عندها أسهرته حتى أصبح، فدعا ابن عباس رضي الله عنهما فقال: إني قرأت آية وقفت الليلة عندها فأسهرتني حتى أصبحت: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» (يوسف:١٠٦)؟ فقال ابن عباس: لا تسهرك إنما عني بها المشركون. ثم قرأ: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» (لقمان:٢٥)، فهم يؤمنون هنا ويشركون بالله» (مختصر قيام الليل للمروزي، ص ١٤٩).

وفي موطأ مالك رحمه الله أنه بلغه: «أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها» (الموطأ ١/٢٠٥؛ وابن سعد في الطبقات عن أبي مليح عن ميمون عن ابن عمر).

وعن مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورًا» (انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/٤٠؛ وتهذيب سير أعلام النبلاء ١/٣٥، وابن سعد في الطبقات ١٢١/٤).

ولمزيد من الفائدة ينظر كتاب (أبناؤنا في حلقات التحفيظ)، وفي هذا القدر الكفاية، والحمد لله رب العالمين.

فقه المرأة المسلمة

مبحث في حكم اللواط

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد يخفى على البعض أن اللواط كبيرة من الكبائر تنافي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، بل إن الله تعالى فطر الحيوان على أن الذكر يأتي الأنثى ولا يأتي ذكرًا مثله، وما علمنا أن حيوانًا ذكرًا اشتهى ذكرًا مثله، فكيف يرضى الإنسان الذي كرمه الله تعالى أن ينزل نفسه منزلة أقل من منزلة الحيوان؟!

قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) الإسراء: ٧٠.

قال ابن القيم رحمه الله: "لم يبتل الله تعالى بهذه الكبيرة قبل قوم لوط أحدًا من العالمين، وعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أمة غيرهم، وجمع عليهم من أنواع العقوبات من الإهلاك، وقلب ديارهم عليهم، والخسف بهم، ورجمهم بالحجارة من السماء، فنكَّل بهم نكالاً لم ينكله بأمَة سواهم؛ وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الأرض تميد من جوانبها إذا عُملت عليها، وتهرب الملائكة إلى أقطار السموات والأرض إذا شاهدوها؛ خشية نزول العذاب على أهلها فيصيبهم معهم؛ وتعجَ الأرض إلى ربَها تبارك وتعالى، وتكاد الجبال تزول عن أماكنها.

ومن تأمل قوله سبحانه: «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» (سورة الإسراء: ٣٢). وقوله في اللواط: «أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين» (سورة الأعراف: ٨٠). تبين له تفاوت ما بينهما، وأنه سبحانه نكَّر الفاحشة في الزنى، أي هو فاحشة من الفواحش، وعرَّفها في اللواط، وذلك يفيد أنه جامع لمعاني اسم الفاحشة، أي أتأتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل أحد، فهي لظهور فحشها وكماله، غنية عن ذكرها، بحيث لا ينصرف الاسم إلى غيرها، وهذا نظير قول فرعون لموسى: «وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ» (سورة الشعراء: ١٩). أي الفعلة الشنعاء الظاهرة المعلومة لكل أحد.

ثم أكد سبحانه شأن فحشها بأنها لم يعملها أحد من العالمين قبلهم، فقال: «مما سبقكم بها من أحد من العالمين»، ثم زاد في التأكيد بأن صرَّح بما تشمئز منه القلوب، وتنبو عنه الأسماع، وتنفر منه الطباع

أشد نفرة، وهو إتيان الرجل رجلاً مثله ينكحه كما ينكح الأنثى، فقال: «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ» (سورة الأعراف: ٨١).

سبب تسمية اللواط فاحشة:

ذكر الله اللواط باسم الفاحشة ليبين أنه زنى، كما قال الله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» (سورة الإسراء: ٣٢). (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/٢٤٣).

والفاحشة: أي: الخصلة التي بلغت- في العظم والشناعة- إلى أن استغرقت أنواع الفحش، فكونها فاحشة من أشنع الأشياء، وكونهم ابتدعوها وابتكروها، وسنوها لمن بعدهم، من أشنع ما يكون أيضا. (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص:٢٩٦).

تعريف اللواط:

اللواط لغة: اللواط هو اللصوق، فكل شيء لصق بشيء فقد لاط به.

وقال الليث: لوط كان نبيًا بعثه الله إلى قومه فكذبوه وأحدثوا ما أحدثوا، فاشتق الناس من اسمه فعلاً لمن فعل فعل قومه. (تاج اللغة (١١٥٥/٣)، تهذيب اللغة (١٩/١٤)، لسان العرب (٣٨٩/٧)، غريب الحديث (٢٢٢/٣).

اللواط شرعًا: إيلاج الحشفة أو قدرها في دبر ذكر ولو عبده أو أنثى. (حاشية البجيرمي على الخطيب ٤/١٧٦).

الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم اللواط:

أولاً: الأدلة من الكتاب:

- قال تعالى: «أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ» (الشعراء:١٦٥-١٦٦)

ثانيًا: الأدلة من السنة:

- عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به». (انظر صحيح سنن أبي داود (٤٤٦٢)، سنن الترمذي (١٤٥٦)، سنن ابن ماجه (٢٥٦١)، والدارقطني (١٢٤/٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٣١/٨) قال الحافظ: وحديث ابن عباس مختلف في ثبوته، التلخيص (١٥٨/٤).

- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يعمل عمل قوم لوط قال: «ارجموا الأعلى والأسفل، ارجموهما جميعا». (سنن ابن ماجه (٢٥٦٢)، والإرواء (١٧/٦) قال الألباني: حديث حسن).

- عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: «لعَن الله مَن عمل عَمل قوم لوط، لعَن الله مَن عمل عَمل قوم لوط، لعَن الله مَن عمل عَمل قوم لوط». (سنن النسائي الكبرى (٧٢٩٧)، ومسند الإمام أحمد (٢٩١٥)، وانظر السلسة الصحيحة (٣٤٦٢).

أضرار اللواط:

شدد الاسلام في عقوبة هذه الجريمة لآثارها السيئة وأضرارها في الفرد والجماعة.

ومن هذه الأضرار ما يلي:

١- الرغبة عن المرأة.
٢- التأثير في الأعصاب.
٣- إضعاف القوى النفسية الطبيعية.
٤- التأثير على المخ.
٥- عدم كفاية اللواط لإشباع الرغبة .
٦- ارتخاء عضلات المستقيم وتمزقه.
٧- ضيق الصدر وخفقان القلب.
٨- التأثير على الأعضاء التناسلية.
٩- التيفود والدوسنتاريا.

(فقه السنة (٤٢٩/٢-٤٣٢) هذه الأضرار ذكرها الشيخ سيد سابق في كتابه ملخصة من كتاب: "الاسلام والطب "للدكتور محمد وصفي).

وللحديث بقية عن حد اللواط، وسبل الوقاية والتخلص منه، في العدد القادم إن شاء الله.

حد اللواط:

لا خلاف بين أهل العلم على تحريم عمل قوم لوط، وتنازعوا في حد اللواط.

فذهب فريق إلى أن حد اللواط: قتل الفاعل والمفعول به وان لم يحصنا.

وحجتهم: ١- حديث ابن عباس والآثار التي جاءت عن الصحابة في هذا الباب.

٢- القياس على الزنا، قالوا: هو أغلظ من الزنا.

وهذا مذهب مالك ورواية عن أحمد والشافعي في أحد قوليه وابن تيمية وابن القيم.

وقال قوم: حد اللواط كحد الزنا: يُرجم حتى الموت إن كان محصنًا، ويجلد إن كان بكرًا ويُغرّب

عامًا، وهو حديث عُبادَةَ بْنِ الصَّامت قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم "خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ". أخرجه مسلم (١٦٩٠)، ومسند أبي عوانة (٦٢٤٨)، وأبو داود (٤٤١٥).

وهو المشهور عن الشافعي والثوري ورواية عن أحمد وقول أبي يوسف ومحمد من الحنفية وغيرهم.

وذهب أبو حنيفة إلى أن اللواط لا حدَّ فيه؛ لأنه ليس محل وطء، ولكن يعزَّر فاعله، وهو مذهب ابن حزم.

والتعزير لغة: التأديب مطلقًا، وقولُ القاموس: إنه يطلق على ضربه دون الحد، غلط. رد المحتار (٢٠٢/١٥).

جاء في المحلى لابن حزم (٣٩٦/١٢): "لا قتل عليه ولا حد، لأن الله تعالى لم يوجب ذلك ولا رسوله عليه السلام فحكمه أنه أتى منكرًا، فالواجب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيير المنكر باليد، فواجب أن يضرب التعزير الذي حده رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك لا أكثر، ويكف ضرره عن الناس فقط".

جاء في مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨٢/٣٤) في معرض كلامه عن حكم اللواط: "أما الفاعل والمفعول به فيجب قتلهما رجمًا بالحجارة، سواء كانا محصنين، أو غير محصنين؛ لما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم... وساق حديث ابن عباس، ولأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اتفقوا على قتلهما. انتهى.

وهذا ما ذهب إليه ابن القيم في الداء والدواء (ص:٢٣٩) والشوكاني في السيل الجرار (٤٩٥/٣).

تعقيب وترجيح:

والذي أرجحه وأعتقد أنه الصواب في هذه المسألة أن من فعل فعْل قوم لوط فعقوبته عقوبة الزاني، يرجم حتى الموت إن كان محصنًا ويجلد مائة جلدة ويُغرَّب سنة إن كان بكرًا- الفاعل والمفعول فيه سواء- لأن اللواط يقاس على الزنا وهو قياس جلي؛ لأن الله تعالى أطلق لفظ الفاحشة على الزنا وعلى اللواط، بل هو أغلظ من الزنا، فقد عاقب الله تعالى قوم لوط عقوبة لم يعاقب بها أحدًا غيرهم، بل جمع عليهم صنوفا من العذاب، فقلب ديارهم عليهم وخسف بهم وأهلكهم، ولم يفعل ذلك بالزناة.

كذا العلة من اللواط والزنا الاستمتاع، فلما اشتركا في العلة وجب التسوية بينهما في الحكم، كما هو معلوم عند الأصوليين، وهو المشهور من مذهب الشافعي وأحمد في أحد قوليه وطائفة من الحنفية والثوري وغيرهم.

وكذلك الحكم في الرجل الذي أتى امرأة أجنبية في دبرها، يحد حد الزاني، يرجم إن كان محصنًا ويجلد مائة ويُنفى سنة إن كان بكرًا، وهذا مذهب مالك والشافعي والحنابلة وطائفة من الحنفية وأبي ثور والأوزاعي وغيرهم، والله تعالى أعلم.

بم يثبت حد اللواط؟

ذهب كل من قال بالحدَ في اللواط إلى أنه لا يثبت إلا بأربعة شهود عدول مسلمين كالزنا، أو بالاعتراف.

أقوال العلماء في المسألة:

جاء في الفواكه الدواني (٢٠٩/٢): "شرط الرجم باللواط كشرط حد الزنا من مغيب جميع الحشفة أو قدرها، والثبوت إما بالاعتراف المستمر أو شهادة أربع من العدول".

قال الشافعي في الأم (٥٩/٧): "والشهادة على اللواط وإتيانِ البهائم أربعة لا يقبل فيها أقل منهم؛ لأن كلاً جماع".

قال الماوردي في الحاوي الكبير (٢١٧/١٣): "قال الشافعي: " ولا يجوز على الزنا واللواط وإتيان البهائم إلا أربعة يقولون رأينا ذلك منه يدخل في ذلك دخول المرود في المكحلة".

قال النووي في المجموع (٢٥٢/٢٠): " لا يقبل في اللواط إلا أربعة؛ لأنه كالزنا في الحد، فكان كالزنا في الشهادة".

قال ابن قدامة في المغني (٧٨/٩): " كل زنا أوجب الحد، لا يقبل فيه إلا أربعة شهود، باتفاق العلماء؛ لتناول النص له، بقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً» (النور: ٤). ويدخل فيه اللواط، ووطء المرأة في دبرها؛ لأنه زنا... وقد بينا وجوب الحد به، ويخص هذا بأن الوطء في الدبر فاحشة، بدليل قوله تعالى: «أَتَأْتُونَ

الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ» (الأعراف: ٨٠). وقال الله تعالى: «وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ» (النساء: ١٥). فإذا وطئت في الدبر، دخلت في عموم الآية".

سبل الوقاية من الوقوع في اللواط:

١ - الإخلاص لله تعالى:

قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» (يوسف: ٢٤)؛ قال ابن القيم: "وأخبر سُبحانه أنه صرف عنه السُّوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإنَّ القلب إذا أخلص وأخلص عمله لله لم يتمكَّن منه عشق الصُّور فإنَّه إنما يتمكَّن من قلب فارغ". (الجواب الكافي ص:٢١٢).

٢ - امتثال أمر الله تعالى بحفظ الفرج:

قال تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ» (المؤمنون: ٥-٧)؛

٣- حفظ البصر:

قال تعالى: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ» (النور: ٣٠-٣١)؛ قال الشيخ السعدي: «يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ» عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور. «وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ» عن الوطء الحرام، في قبل أو دبر، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسها، والنظر إليها. (تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٦٦).

٤ - الصحبة الصالحة:

قال تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» (الكهف: ٢٨).

٥- النكاح أو الصوم:

- عن عبد الله قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مَعْشر الشَّباب مَنْ اسْتطاعَ الْباءةَ فليتزوَّجْ فإنه أغضُّ للبَصر وأحْصنُ للفَرْج وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْه بالصَّوْم فإنَّه له وجَاءٌ». (أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠).

والباءة: أصلها في اللغة: الجماع، مشتقة من المباءة وهي المنزل، ومنه مباءة الإبل وهي مواطنها، ثم قيل لعقد النكاح: باءة، لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً - مسلم بشرح النووي (١٨٨/٥).

والوجاء: هو رض الخصيتين، والمراد هنا: أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المني كما يفعله الوجاء- مسلم بشرح النووي (١٨٨/٥).

وأخيرًا:

قال ابن القيم:

والكلام في دواء هذا الداء من طريقين: أحدهما: حسْم مادَّته قبل حصولها. والثاني: قلعها بعد نزولها. وكلاهما يسير على من يسَّره الله عليه، ومتعذر على من لم يُعنْه، فإنَّ أزمَّة الأمور بيديه.

فأمَّا الطريق المانع من حصول هذا الداء، فأمران: أحدهما: غضُّ البصر، فإنَّ النظرة سهم مسموم من سهام إبليس. ومَن أطلق لحظاته دامت حسراته. وفي غضِّ البصر عدَّة منافع، وهو بعض أجزاء هذا الدواء النافع. الثاني: اشتغال القلب بما يصدُّه عن ذلك، ويحول بينه وبين الوقوع فيه.

وهذا يحتاج صاحبه إلى أمرين إن فُقدا أو أحدهما لم ينتفع بنفسه: أحدهما: بصيرة صحيحة يفرِّق بها بين درجات المحبوب والمكروه، فيؤثر أعلى المحبوبين على أدناهما، ويحتمل أدنى المكروهين ليخلص من أعلاهما. وهذا خاصَّة العقل، ولا يعدُّ عاقلاً من كان بضدِّ ذلك، بل قد تكون البهائم أحسن حالاً منه.

الثاني: قوة عزم وصبر يتمكن بها من هذا الفعل والترك. فكثيرًا ما يعرف الرجل قدر التفاوت، ولكن يأبى له ضعفُ نفسه وهمته وعزيمته على إيثار الأنفع، من جشعه وحرصه ووضاعة نفسه وخسَّة همته. ومثل هذا لا ينتفع بنفسه، ولا ينتفع به غيره. (الداء والدواء لابن القيم (٤١٥/١ - ٤٢٣).

تم بحمد الله تعالى.

(٣)

القواعد الفقهية والضوابط الشرعية للمعاملات المالية المعاصرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أهم القواعد الفقهية والضوابط الشرعية لبعض المعاملات المالية المعاصرة بصورة مبسَّطة، ومن خلال أمثلة تطبيقية من الواقع الذي نعاصره. فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد **د. حسين حسين شحاتة**

الأستاذ بجامعة الأزهر

١٦- البيع بالتراضي:

يُقصد بهذه القاعدة أن تتم المعاملات على أساس التراضي التامّ بين الأطراف، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ » (النساء: ٢٩)، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا" (متفق عليه)، وتأسيسًا على ذلك تبطل العقود القائمة على الإذعان أو الإكراه، أو لا يتوافر في أحد الأطراف أهلية التعاقد، ولا يحل التراضي على أمور منهيَ عنها شرعًا، مثل التراضي على التعامل بالربا أو التراضي على الميسر، أو التراضي على التزوير، أو التراضي على التهرب من أداء حقوق الغير.

ومن النماذج التطبيقية لهذه القاعدة: بيوع المساومة، بيوع المرابحة، وبيع السلم، وأيضًا شروط التسليم والسداد وشرط الضمان، وشرط الرهن، وغير ذلك من المعاملات

> **لا يجوز أن تؤدي المعاملات إلى تعطيل فريضة أو تضييع حقوق، أو منع الإنسان من أداء ما عليه من واجبات دينية واجتماعية.**

التي تقوم على التراضي بدون إذعان أو إكراه أو احتكار أو استغلال.

١٧ - المحافظة على مقاصد الشريعة الإسلامية:

وتعني هذه القاعدة المحافظة على الحقوق التي كفلتها الشريعة الإسلامية للإنسان؛ مثل: حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ العرض وحفظ المال، كما لا يجوز أن تؤدي المعاملات إلى تعطيل فريضة أو تضييع حقوق، أو منع الإنسان من أداء ما عليه من واجبات دينية واجتماعية، ومثال ذلك لا يجوز البيع وقت صلاة الجمعة.

ومن النماذج التطبيقية لهذه القاعدة: تحريم بيع الأشياء التي تمس بالعقيدة أو ثقافة المسلم أو تضره في بدنه أو تمس عرضه، وكذلك تحريم معاملات الخمر والميسر، وما في حكم ذلك؛ لأنها تمس مقاصد الشريعة الإسلامية.

١٨ - الديون إنما تُقضى بأمثالها:

ومقتضى هذه القاعدة أن يسدد المدين للدائن مثل الدَّين الذي قبضه منه وليس قيمته. أي أن الدين يُردُّ بجنسه، وهذه القاعدة تعالج العديد من المشكلات الناجمة عن تغيُّر قيمة النقد بسبب التغير في القوة الشرائية له.

ومن النماذج التطبيقية المعاصرة لهذه القاعدة: أنه لا يجوز ربط الدَّين عند السداد بقيمة شرائية معينة، ولا يعدل عن المثل إلى القيمة، فعلى سبيل المثال لو اقترض محمد ١٠٠٠ دينار وكانت قيمة الدينار ١٠ جنيهات ذهبية، وعند الرد كانت قيمة الدينار ٨ جنيات ذهبية فلا يرد أكثر من ١٠٠٠ دينار؛ لأن الدَّين المضمون في الذمة هو الـ١٠٠٠ دينار، ولا يُعتدُّ بحالات التضخم والانكماش.

١٩ - الأصل براءة الذمة:

وتقضي هذه القاعدة بأن ذمة كلِّ إنسان بريئة من كل حق أو واجب للغير إلا بدليل يقيني، ويكون على المدعي إثبات البينة، وفقا للقاعدة: "البينة على من ادعى واليمين على من أنكر".

فعلى سبيل المثال يكون على الدائن (المُقرض) إثبات المديونية على المقترض بالوثائق أو بالشهود أو بما في حكم ذلك، ويكون من مسؤولية الدائن إثبات أن المدين مماطل، ولو أنكر المدين جزءًا من الدَّين فلا يلزمه إلا ما أخذه.

٢٠ - الضرورات تبيح المحظورات:

تعني هذه القاعدة أن يَحُولَ المُحرَّم إلى حلالٍ بمقتضى الاضطرار، ودليل ذلك من القرآن قول الله تبارك وتعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (البقرة: ١٧٣)، ولقد وردت هذه القاعدة بمفاهيم أخرى مثل: "الضرورة تبيح المحظور إلى مباح"، و"يجوز في الضرورة ما لا يجوز في غيرها"، ولقد قيَّد الفقهاء الضرورة وقالوا: "الثابت بالضرورة يقدر بقدرها"، "كلٌّ أعلم بضرورته"، ولا تحايل على شرع الله

ومن أمثلة الضرورات

التي تبيح المحظورات في الواقع المعاصر: "العمل في مجالات فيها شبهات إذا سُدّت جميع أبواب العمل الحلال"، والتعامل مع البنوك التقليدية إذا لم توجد مصارف إسلامية، والاقتراض بفائدة لضرورة إنقاذًا للنفس من الهلاك إذا لم يُوجَد القرض الحسن.

ولقد وضع الفقهاء ضوابط شرعية للضرورة؛ من أهمها:

- أن تكون الضرورة مُلْجِئة يَخْشَى الفاعل منها الهلاك.
- أن تكون الضرورة قائمة بالفعل وليست متوقعة.
- ألا يكون لدفع الضرورة وسيلة إلا ارتكاب هذا الأمر.
- أن كما يكون دفع الضرورة بالقدر الكافي اللازم لدفعها دون تعدٍّ أو رغبة.

٢١- الحاجة تُنزَّل منزلة الضرورة:

يُقصد بذلك أنه إذا تحققت الحاجة وأصبحت واقعة، ولا يمكن تحقيق المقاصد الشرعية إلا بها، ففي هذه الحالة تأخذ منزلة الضرورة التي تبيح المحرم، يقول الفقهاء: "الحاجة يمكن أن تنزل منزلة الضرورة في تجويز الممنوع شرعًا".

فعلى سبيل المثال، جَوَّز الفقهاء بيع عقد السلم مع العلم بأن موضوع العقد وهو البضاعة غير ثابتة وموجودة عند إبرام العقد، وكذلك جوّزوا الغرر اليسير في البيوع التي لا تخلو منه، وأجازوا شراء الأدوية الأجنبية عند عدم وجود البديل الوطني، وأجازوا التعامل مع فروع المعاملات الإسلامية التابعة للبنوك التقليدية في حالة عدم وجود مصارف إسلامية.

> "إذا تحققت الحاجة وأصبحت واقعة، ولا يمكن تحقيق المقاصد الشرعية إلا بها، ففي هذه الحالة تأخذ منزلة الضرورة التي تبيح المحرم."

٢٢- لا ضرر ولا ضرار، والضرر يُزال:

تعني هذه القاعدة رفع الضرر قبل وقوعه، وإن وقع ضرر فعلاً يجب أن يُزال، وفي مجال المعاملات يجب تجنُّب أيّ معاملة يترتب عليها ضرر بالإنسان أو بغيره، وإذا كان هناك اضطرارا اضطرار لوقوع ضررين؛ فيُختار أخفّ الضررين، ويتحمل الضرر الخاصّ لدفع الضرر العام، وأصل هذه القاعدة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار" (صحيح ابن ماجه ١٩١٠)، ومن مقاصدها منع الفعل الضارّ.

ومن النماذج التطبيقية لهذه القاعدة على سبيل المثال: منع الاعتداء على الأنفس أو الأعراض أو الأموال، وأصل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام.... الحديث" (رواه البخاري ومسلم)، كما حرّمت الشريعة الإسلامية مجموعة من البيوع حيث يترتب عليها أضرار مثل: بيع النجش، وبيع العينة، وبيع المزابنة، وبيع المنابذة، وبيع الحاضر للبادي للباد ، والبيع على البيع، وبيع المخدرات، وبيع المغصوب والمسروق، وبيع آلات اللهو والمعازف، وبيع الدَّيْن بالدَّيْن.

تعقيب:

لقد تناولنا الخطوط الرئيسية لهذه القواعد بدون تفصيل، وعلى من يريد التفصيل والحصول على الأدلة عليه الرجوع إلى المراجع المتخصصة في علم القواعد الفقهية، وكانت الغاية من عرضها هو استنباط الضوابط الشرعية للمعاملات المالية التي تساعد في اتخاذ القرارات.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ابن خلدون مؤسس علم الاقتصاد

إعداد د. أيمن خليل

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فيعرف ابن خلدون بأنه مؤسس علم الاجتماع، ولكن لا يعرف الكثيرون أنه أيضًا مؤسس علم الاقتصاد، ولكن من يطالع كتابه "المقدمة" يدرك السبب وراء الاهتمام غير العادي بأفكار ابن خلدون الاقتصادية، هذا الاهتمام الذي بدأ بنشر الاقتصادي الفرنسي رينيه مونييه مقالة عام ١٩١٢ بعنوان الأفكار الاقتصادية عند الفيلسوف العربي ابن خلدون، وهو ما حفز أحد الباحثين إلى إعداد رسالة نال بها درجة الدكتوراه في الحقوق من جامعة ليون بفرنسا عام ١٩٣٢ عن الأفكار الاقتصادية عند ابن خلدون، كما شهدت مصر رسالة علمية أخرى عن دور ابن خلدون في الاقتصاد. (رسالة دكتوراه أعدها د.محمد علي نشأت بعنوان "رائد الاقتصاد ابن خلدون" تقدم بها لجامعة فؤاد الأول (القاهرة) عام ١٩٤٤).

ثم تتابع الاهتمام بأفكار ابن خلدون الاقتصادية حتى عقدت عدة مؤتمرات عنه كان منها المؤتمر الذي عقد في القاهرة عام ١٩٦٢م (انظر: د.محمد حلمي مراد: أبو الاقتصاد ابن خلدون، أعمال مهرجان ابن خلدون، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة ١٩٦٢).

وفي عام ٢٠٠٦ عقد المركز الثقافي الإسلامي بمدريد بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية والجامعة الوطنية المفتوحة بمدريد UNED والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم "الإيسيسكو"، مؤتمرًا عالميًا بمدريد بأسبانيا بعنوان: "الاسهامات الاقتصادية لابن خلدون".

وفي العام التالي انعقدت الندوة العلمية الإقليمية التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع جامعة آل البيت الأردنية، بالأردن في المدة من ٢١- ٢٢ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ الموافق ٩- ١٠ مايو ٢٠٠٧م- بمناسبة المئوية السادسة لوفاة ابن خلدون، وكانت تحت عنوان " عبدالرحمن بن

> "قام ابن خلدون بتحليل سوق السلع والعمل والأراضي، ووضع أسس نظرية القيمة بالعمل وهي الفكرة التي تبناها الاقتصاد الكلاسيكي فيما بعد."

خلدون: قراءة معرفية ومنهجية.

ابن خلدون يضع أسس الاقتصاد الكلاسيكي في كتابه المقدمة:

من يطالع كتاب " المقدمة " لابن خلدون يتبين أنه قد وضع أسس الاقتصاد الكلاسيكي سواء في الإنتاج أو العرض أو التكلفة، ليس فقط بل وكان أيضاً رائداً في تناول مفاهيم الاستهلاك والطلب والمنفعة والتي تعتبر بمثابة حجر الزاوية في النظرية الاقتصادية الحديثة، كما قام ابن خلدون بتحليل سوق السلع والعمل والأراضي ووضع أسس نظرية القيمة بالعمل هي الفكرة التي تبناها الاقتصاد الكلاسيكي فيما بعد، كما جزم بعض فقهاء الاقتصاد المعاصرين بتأثر آدم سميث بأفكار ابن خلدون، كما أن النظرية الضريبية التي وضعها ابن خلدون تبناها فيما بعد عالم الاقتصاد الأمريكي آرثر لافر.

وتكلم ابن خلدون في مقدمته عن مسائل اقتصادية عديدة مثل: تقسيم العمل، والأسعار، والنقود، والعرض، والطلب، وتقسيم السلع، إلى ضرورية وكمالية، وقد ساهم ابن خلدون بعدة أفكار اقتصادية حيث حلل نظرية النقود، ورتب للنقود خاصية وهي الثبات النقدي، ورتب عليها وظيفتين: أنها أداة مبادلة، وأداة ادخار، كما حلل نظرية السكان وبين دورها في الازدهار والعمران، وسبق في ذلك الاقتصاديين بعده بأربعة قرون، ودرس ابن خلدون هذه المسائل الاقتصادية بطابع تحليلي ودرس البواعث والعوامل ذات الطابع الاقتصادي التي يخضع لها سلوك الأفراد والجماعات، كما وضح ابن خلدون العلاقة بين كمية النقود وبين القدرة الإنتاجية في الدولة وأثر هذه القدرة على عمرانها، وتفوق ابن خلدون على التجاريين في تحليل وظيفة النقود، بل ظهر أيضاً تفوقه على آدم سميث الذي كان يرى أنّ التجارة الخارجية إنّما هي تصريف الفائض عن الاستهلاك المحلي، حيث بيّن ابن خلدون أنّها تكون لتبادل المنفعة وللحصول على الذهب والفضة ابتغاء الحصول بهما على السلع الأخرى. (المقدمة لابن خلدون، المرجع السابق، ج١، ص٤٧٨).

ابن خلدون يحذر من تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي:

خصص ابن خلدون الفصل الثاني والأربعون من المقدمة، والذي تحدث فيه عن أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية، وأكد على ضرورة عدم تدخل السلطان في النشاط الاقتصادي، فيقول ابن خلدون إن: "... أوّل ما ينمي الجباية ويثريها ويديم نماءها إنّما يكون بالعدل في أهل الأموال والنظر لهم بذلك، فبذلك تنبسط آمالهم، وتنشرح صدورهم للأخذ في تثمير الأموال وتنميتها، فتعظم منها جباية السلطان...". ويؤكد ابن خلدون على أن تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي سيؤدي إلى احتكار الدولة للنشاط الاقتصادي وهو ما سيلحق الضرر بكافة جوانب النشاط الاقتصادي؛ مما سيؤدي إلى الكساد، ويمكننا القول إن ابن خلدون أسس نظرية يطلق عليها بعض الباحثين مسمى " تجارة السلطان مضرة للرعايا مفسدة للجباية". فابن خلدون رأى في عصره طائفة من الحكام تركت المهام المناطة بها وانشغلت بالاتجار وممارسة الزراعة، وعلل ابن خلدون ذلك بمحاولة السلطان تعويض النقص في جبايته، ويدين ابن خلدون

> أكد ابن خلدون على أهمية العدل لتحقيق التنمية الاقتصادية، وبين مفهوم العدل في أهل الأموال وأنه يكون بتأمين أموال الناس وعدم مصادرتها.

هذا السلوك من قبَل الحاكم ويُقبّحه ويؤكد أنه لا يجمل به، ولا يتحقق به رخاء الدولة.

كما يؤكد ابن خلدون أن تدخل الدولة في التجارة أو ما أسماه بتجارة السلطان لا يستقيم مع مصالح الرعية، ولا الوفاء بما يحتاج إليه بيت المال، مؤكدا أنّه غلط عظيم وإدخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة يجملها ابن خلدون في مضايقة الرعايا من الفلاّحين والتجار لعدم التكافؤ بين رأس مال السلطان، و هذا الأمر سيؤدي الإضرار بالتجار والفلاحين، وربما ذهبت رؤوس أموالهم فينقبض الفلاّحون عن الفلاحة ويقعد التجار عن التجارة، فيؤدي ذلك إلى ذهاب الجباية جملة، أو أن يدخلها النقص المتفاحش.

وحاول البعض القول بوجود تقارب بين مفهوم اليد الخفية عند آدم سميث وبين أفكار ابن خلدون، في حين ذهب البعض الآخر إلى أن أفكار جون ماينارد كينزي- التي ترى وجوب تدخل الدولة لضبط النشاط الاقتصادي- هي التي تقترب من أفكار ابن خلدون. وهو ما يدل على مدى ثراء أفكار ابن خلدون وتأثيره في علماء الاقتصاد من بعده.

ابن خلدون يحذر من مصادرة الأموال والفساد:

أكد ابن خلدون على أهمية العدل لتحقيق التنمية الاقتصادية، وبين مفهوم العدل في أهل الأموال وأنه يكون بتأمين أموال الناس وعدم مصادرتها (أي باحترام الملكية الفردية)، وإفساح المجال أمامهم للنشاط التجاري والزراعي والإنتاج (أي تحقيق الحرية الاقتصادية).

وأكد ابن خلدون على ضرورة مراقبة السلطان لأنصاره ؛ ومنع حاشيته من مضايقة أصحاب النشاط الاقتصادي (أو ما يمكن تسميته الآن بمكافحة الفساد)، فكأنَما يريد ابن خلدون أن يُنبَه إلى القاعدة الاقتصادية الحديثة التي فحواها أنَ رأس المال شديد التأثر فينشط حيث العدل والأمن والاستقرار، ويفر ويهرب ويختفي حيث الظلم والفساد والفوضى والمصادرات، كما يؤكد ابن خلدون في مواضع عديدة من كتابه على وجوب نشر العدل ونزع الظلم- بكل صوره- عن النّاس كي لا تخرب الأمصار وتكسد أسواق العمران وتقفر الديار، ويبين ابن خلدون أن من صور الظلم في البلد وضع الضياع في أيدي الخاصّة والعدوان على النّاس في أموالهم.

الإصلاح الضريبي عند ابن خلدون:

عرض ابن خلدون لمسألة من أهم مسائل المالية العامة وهي الضرائب، وذلك في فصل عنونه "في الجباية وسبب نقصها"، ويقول ابن خلدون: " اعلم أن الجباية أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة، والسبب في ذلك أن الدولة إن كانت على سنن الدين فليست تقتضي إلا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الوزائع لأن مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم الشرعية وهي حدود لا تتعدى.

ابن خلدون يحذر الدول من الإنفاق الترفي وأنه أهم أسباب التوسع في فرض الضرائب:

يؤكد ابن خلدون على خطر السرف والتوسع في الإنفاق الترفي، وأنه سيؤدي بالحكام إلى فرض الضرائب لمواجهة كثرة النفقات فيقول في هذا الصدد: "... فإذا جاء الملك العضوض.... وتخلق

> **يحذر ابن خلدون من الغلو في فرض المكوس أو الضرائب، ويؤكد أن هذا الأمر لن يؤدي إلى زيادة الحصيلة الضريبية وإنما إلى قلتها.**

أهل الدولة حينئذ بخلق التحذلق وتكثرت عوائدهم وحوائجهم بسبب ما انغمسوا فيه من النعيم والترف فيكثرون الوظائف، والوزائع حينئذ على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المغارم... ويضعون المكوس على المبايعات وغيرها، ثم تتدرج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والإنفاق بسببه حتى تثقل المغارم على الرعايا وتهضمهم وتصير عادة مفروضة لأن تلك الزيادة تدرجت قليلا قليلا ولم يشعر أحد بمن زادها على التعيين... فتنقبض كثير من الأيدي عن الاعتمار جملة فتنقص جملة الجباية حينئذ بنقصان تلك الوزائع منها.... (تاريخ ابن خلدون: المرجع السابق، الفصل الثامن والثلاثون وهو بعنوان: " في الجباية وسبب قلتها وكثرتها "، ج١، ص٣٤٤ و٣٤٥).

الاقتصادي الأمريكي آرثر لافر يحصل على جائزة نوبل في الاقتصاد بأفكار ابن خلدون:

يحذر ابن خلدون من الغلو في فرض المكوس أو الضرائب، ويؤكد أن هذا الأمر لن يؤدي إلى زيادة الحصيلة الضريبية وإنما إلى قلتها، وما نادى به ابن خلدون يمكن أن يسمى في عصرنا بمبدأ العدالة الضريبية، وهذه الأفكار التي تحدث عنها ابن خلدون طرحها العديد من الاقتصاديين- في المجال الضريبي- فيما يعرف باسم "نظرية العرض" التي اعتمدت على خفض أسعار الضرائب لتحفيز الأفراد والمشروعات على الاستثمار والإنتاج، وبذلك يزيد الناتج القومي وتزيد الحصيلة، فابن خلدون في هذا الموضع قد حلل الضرائب وبين أثرها على الاقتصاد وانتهى إلى وجوب خفض قيمة الضرائب المفروضة على الناس وأن ذلك يؤدي إلى زيادة حصيلة الواردات.

وما ذهب إليه ابن خلدون هو نفسه ما انتهى إليه الاقتصادي الأمريكي الليبرالي آرثر لافر في المنحنى الذي اشتهر باسمه (Laffer curve) والذي حصل به على جائزة نوبل في الاقتصاد، والذي يعتمد عليه قانون الإصلاح الضريبي الأمريكي الآن، والذي يعتمد على خفض قيمة الضريبة لزيادة حصيلتها ،ويقرر آرثر لافر صراحة أن الفضل في إبداع منحنى لافر يرجع لابن خلدون. وهو ما أكد أن زيادة معدلات الضرائب لا تؤدي بالضرورة إلى زيادة الإيرادات الضريبية، وإنما تضعف النشاط الاقتصادي فتقلل تدفق الإيرادات الضريبية. في حين أن خفض معدلات الضرائب يزيد الإيرادات الضريبية من خلال زيادة النشاط الاقتصادي، ولقد كان لهذه النظرية التي دعا إليها آرثر لافر الفضل في اعتماد ما يسمى بسياسات جانب العرض الاقتصادية والتي اعتنقتها الولايات المتحدة الأمريكية إبان حكم الرئيس رونالد ريجان ؛ والمملكة المتحدة أيام مارجريت تاتشر، وهذه النظرية التي يعبر عنها بمنحنى لافر. (علي بلعزوز وعبد الكريم قندوز: مبدأ الضريبة تقتل الضريبة بين ابن خلدون و لافر، مجلة دراسات اقتصادية اسلامية التي يصدرها المعهد الاسلامي للبحوث والتدريب بجدة، المجلد ١٣، العدد الثاني، المحرم ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م (ص ١٢٣: ١٥٢).

والحمد لله رب العالمين.

الإمام البخاري

أمير المؤمنين في الحديث

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري

ميلاده

الجمعة
١٣
شوال
سنة ١٩٤هـ

أتم حفظ القرآن
عند بلوغه سن
١٠ سنوات

وقرأ الكتب المشهورة
عند بلوغه سن
١٦ سنة

قيل: إنه كان يحفظ في صباه
٧٠ ألف حديث سردا

ابتلاه الله في صباه
بفقدان بصره

ولكن أمه الصالحة كانت تتودد إلى الله ليل نهار، وهي تدعوه سبحانه راجية أن يرد على صبيها بصره فيأتيها إبراهيم عليه السلام يبشرها في المنام يقول لها: "يا هذه، قد ردَّ الله على ابنك بصره لكثرة دعائك"!!

فأصبح البخاري
وقد ردَّ الله عليه بصره

أبرز سماته وصفاته

شديد الحفظ
للسانه

الأمانة

الزهد

العفة

القناعة

إعداد: أحمد رجب محمد

عدد شيوخ البخاري يزيدون عن

١٠٠٠ شيخ

أبرزهم: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، وقتيبة بن سعيد، وأبو بكر بن أبي شيبة.

رحلته في طلب العلم

بدأت في **مكة والمدينة** وقد ظل بهما **ستة** أعوام انطلق بعدها متنقلاً بين حواضر العالم الإسلامي.

بغداد › واسط › **البصرة** › الكوفة › **دمشق** › قيسارية › عسقلان › **خراسان** › بلخ › **نيسابور** › مرو › **هراة** › مصر › **غيرها.**

صنّف الإمام البخاري ما يزيد عن

٢٠ مصنفا

منها:

- الأدب المفرد
- التاريخ الكبير
- التاريخ الصغير
- خلق أفعال العباد
- رفع اليدين في الصلاة
- الكنى

وغيرها من الكتب.

أشهرها كتابه:

الجامع الصحيح المسند

من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه

أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى

صحيح
البخاري

يقول البخاري عن سبب تأليفه: **"رأيت رسول الله ﷺ وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب؛ فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح".**

وقد شهد للبخاري العلماء والمعاصرون له، حتى كان الإمام مسلم يقبّله ويقول له: **"دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله".**

تعرض البخاري في آخر عمره للمحنة والابتلاء

فبعد أن عاد إلى نيسابور سعى بعض العلماء غيرة وحسدًا به إلى والي المدينة، وألصقوا به تهمًا مختلفة، مما اضطروه إلى أن يغادر نيسابور إلى مسقط رأسه بخارى، وهناك طلب منه أمير **بخارى** أن يأتيه ليسمعه الحديث فقال البخاري بعزة العالم:

قل له إنني لا أذلّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين

فقام الأمير بنفيه من **بخارى** إلى **خرتنك** !!

وفيها ظل البخاري بعيدًا عن وطنه، صابرًا على محنته. حتى توفاه الله

٣٠ رمضان سنة ٢٥٦ هـ

٣١ أغسطس ٨٧٠م

خلّف البخاري علمًا ونورًا تستضيء به الإنسانية وتظل تنهل منه، وتعوّل عليه إلى يوم القيامة.

شيخ الأزهر: وسطية الإسلام فى جمع عناصر الحق والعدل

أكد فضيلة الأمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف حاجة الإنسانية الماسة إلى الدين وتعاليمه وأخلاقه، مبينا أن وسطية الإسلام هى التوازن الذى يجمع عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة، مكونَا الموقف الوسط البرىء من غلو الإفراط والتفريط، مضيفا أن وسطية الإسلام تُوازن بين الأحكام، فلا غلو ولا تشدد، ولا تفلت ولا تسيب، فلا إفراط ولا تفريط فى الإسلام.

وأوضح الإمام الأكبر أن الإسلام لا ينظر لغير المسلمين إلا من منظور المودة والأخوة الإنسانية ، وأن الدين ما نزل إلا ليهدي الإنسان إلى الخير ويُعرفه به وبالشرع ويحثه على فعله ويحذره من عواقبه ، فالدين فطرة فَطَرَ الله الناس عليها وليس ظاهرة مرتبطة بأسباب طبيعية أو نفسية أو اجتماعية أو غيرها.

وأشار الامام الاكبر إلى الآيات الصريحة فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة التى تنص على أن علاقة المسلم بغيره من الناس أيًا كانت مذاهبهم هى علاقة البر والأخوة والإنصاف.

وأوضح أن وسطية الأزهر الشريف تنطلق من وسطية الإسلام التى هى تحصين للمجتمع من الإفرازات التى يمكن أن توجد بسبب التضييق من المتطرفين الذين يعتمدون على نظرة ضيقة للكون وللحياة، وينطلقون منها إلى تخطئة كل رأى مخالف لهم باسم الدين، ويُدينون كل فكر مخالف لفكرهم باسم الدين، الأمر الذى ينتهى بهم إلى تكفير الناس، بل والنيل من أعراض العلماء، ووصمهم بصفات غير لائقة.

وقال شيخ الازهر إن رسالة الأزهر هى رسالة الإسلام، وهى "الوسطية والاعتدال"،

جامعة الأزهر: تطوير التعليم الطبى وتطويره وفقاً للمعايير العالمية

قال الدكتور يوسف عامر، نائب رئيس جامعة الأزهر، إنه سيتم عقد اجتماعات مستمرة مع المعنيين بكليات الطب لتوحيد محتوى المقررات الدراسية والمخرجات التعليمية المستهدفة، تمهيداً لاستيفاء محتوى بنوك الأسئلة ولحسن سير العملية التعليمية ولتكافؤ الفرص، في إطار التطوير والاهتمام بالتعليم الطبي وتطويره وفقا للمعاييرالعالمية، طبقاً لتوجيهات الدكتور محمد المحرصاوي رئيس الجامعة.

وقالت الدكتورة زينب نبيل ، مستشار نائب رئيس الجامعة للتعليم الطبي، إن الطلاب يبدؤون الدراسة الإكلينيكية من المرحلة الثانية من برنامج الطب التكاملي، وبالتوازي مع الدراسة يتم التدريب الإجباري لأطباء الامتياز عن طريق التعلم الذاتي بالتعاون مع بنك المعرفة المصري.

وأوضحت د.زينب نبيل، أن برنامج "التعلم الذاتي" هو برنامج تدريبي عبارة عن ٨٥ كورس في جميع مجالات التدريب المعنية وهي "التوليد وأمراض النساء، والجراحة، والطوارئ، والأطفال، والباطنة، ومكافحة العدوى". ويتم من خلال بنك المعرفة في بعض الوحدات التعليمية لبرنامج الطب التكاملي، ويتم تدريب طلاب جميع الفرق الدراسية بكليات الطب على مكافحة العدوى من خلال بنك المعرفة المصري.

مرصد التوحيد

إعداد/ إبراهيم رفعت

الأوقاف تنفي مجددًا عودة صلاة الجمعة وتحديد وقت الخطبة

نفت وزارة الأوقاف مجددًا ما تردد من شائعات بتحديد وقت خطبة الجمعة بعشرة دقائق ، مؤكدة أنه لم يتم تحديد وقت للخطبة أو تحديد موعد لعودة صلاة الجمعة.

وأشارت إلى أن وزير الأوقاف الدكتور محمد مختار جمعة مازال يتدارس الضوابط الإجرائية لعودة صلاة الجمعة تدريجيًا مع قيادات الوزارة حتى يتسنى له عرضها على لجنة إدارة أزمة كورونا برئاسة الدكتور مصطفى مدبولي رئيس مجلس الوزراء لاتخاذ القرار المناسب بشأنها وفقاً لمتطلبات ومستجدات الأزمة.

«ومن أحياها».. الإفتاء تطلق حملة للتبرع ببلازما دم المتعافين من كورونا

أطلقت دار الإفتاء المصرية مبادرة تهدف إلى تحقيق التكاتف والتعاون التام بين أفراد المجتمع ودعم جهود الدولة في علاج مصابي فيروس كورونا، وحث المتعافين من فيروس كورونا على التبرع ببلازما الدم لعلاج المصابين.

كانت اللجنة العلمية لمكافحة فيروس كورونا بوزارة الصحة قد كشفت خطوات الحصول على بلازما المتعافين لعلاج مصابي كورونا دون اللجوء إلى السوق السوداء.

وأوضح رئيس اللجنة الدكتور حسام حسني أن الحالات المؤهلة لعلاج بالبلازما هي الأكثر أولوية والحالات الشديدة قبل وصولها إلى الحالة الحرجة، وهذا بناء على دراسات أكدت أن أكثر ناس يستفيدون من العلاج من كورونا ببلازما الدم هم الحالات الشديدة قبل أن تصل لمرحلة الحاجة للتنفس الصناعي، فضلًا عمن يحتاجون ذلك.

وأضاف: "يحصل عليها عن طريق تقرير طبي من المستشفى المصاب فيها لم يصل تقرير إلى وزارة الصحة إلا وكان المريض محتاجاً وتلقى بالفعل البلازما الخاصة به، سواء كان في مستشفى خاصة أو جامعي أو لمريض في إحدى مستشفيات وزارة الصحة".

فيما أعلنت وزيرة الصحة الدكتورة هالة زايد نجاح تجربة حقن المصابين بفيروس كورونا المستجد ببلازما المتعافين من الفيروس، وذلك لعلاج الحالات الحرجة، والتي تم العمل بها في إطار جهود الدولة المصرية لايجاد خطوط علاجية وتسابق دول العالم في إيجاد علاج للمرضى المصابين بفيروس كورونا المستجد.

وأشارت الوزيرة إلى أنه تم تطبيق تجربة حقن بلازما المتعافين لبعض مصابي فيروس كورونا من الحالات الحرجة بمستشفيات وزارة الصحة والسكان، كما تم توفير البلازما لاثنين من المستشفيات الجامعية بعد طلبها، حيث أظهرت التجربة نتائج مبدأية مبشرة من خلال نسبة تعافي جيدة للمرضى وتقليل احتياج المرضى لأجهزة التنفس الصناعي مع زيادة نسب الشفاء وخروج المرضى من المستشفيات.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

حال أهل الباطل
مع الله تعالى

قال الله تعالى: « وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ »(النحل: ٥٣، ٥٤).

من أقوال السلف

عن سفيان الثوري رحمه الله قال: "اسلكوا سبيل الحق، ولا تستوحشوا من قلة أهله". (فتح الباري)

من دلائل النبوة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " كُنَّا نعُدُّ الآياتِ بركةً، وأَنْتُمْ تعُدُّونَهَا تَخويفًا، كُنَّا مع رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم في سفَرٍ، فقَلَّ الماءُ، فقَالَ: اطْلُبُوا فَضْلَةً من ماءٍ فَجاؤُوا بإناءٍ فيه ماءٌ قَليلٌ فأدْخَلَ يدَهُ في الإناءِ، ثُمَّ قالَ: حَيَّ على الطَّهُورِ المُبارِكِ، والبَرَكةُ من الله فلقدْ رأيْتُ الماءَ يَنْبُعُ من بيْنِ أصابِعِ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ولقدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبيحَ الطَّعامِ وهو يُؤْكَلُ.(صحيح البخاري ٣٥٧٩).

من فضائل الصحابة

عن الشعبي رحمه الله قال: "حُبّ أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السُنَّة". (سير أعلام النبلاء)

من حكمة الشعر

كتب عقيل إلى أخيه عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهما، يسأله عن حاله: فكتب إليه:

فإن تسألَني كيف أنت؟ فإنني ... جليدٌ على ريب الزمان صليبُ
عزيزٌ عليّ أن ترى بي كآبة ... فيفرح واشٍ أو يُساء حبيبُ

(العقد الفريد)

إعداد : علاء خضر

من فضائل الصحابة

عن جعفر بن محمد قال: "من زعم أني إمام معصوم، مفترض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء".

(سير أعلام النبلاء)

فضل صيام يوم عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن صَوْمِ يومِ عاشُوراءَ؟ فقالَ: "يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضيةَ" (صحيح مسلم ١١٦٢).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضل شهر المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَفْضَلُ الصَّلاةِ، بَعْدَ الصَّلاةِ المَكْتُوبَةِ، الصَّلاةُ في جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضانَ، صِيامُ شَهْرِ اللهِ المُحَرَّمِ". (صحيح مسلم ١١٦٣).

حِكَم ومواعظ

عن خالد بن معدان رحمه الله، قال: "إذا فُتِحَ لأحدكم بابُ خيرٍ، فليسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغْلَق عنه" (سير أعلام النبلاء).

من معاني الأحاديث

قد تكرَّر ذِكر «الفقر، والفقير، والفقراء في الحديث»، وقد اختلف الناس فيه، وفي المسكين، فقيل: الفقير الذي لا شيء له، والمسكين الذي له بعض ما يكفيه، وإليه ذهب الشافعي. وقيل فيهما بالعكس، وإليه ذهب أبو حنيفة. (النهاية في غريب الحديث والأثر).

أثر السياق في فهم النص

(١٢٥)

حجاب المرأة المسلمة

(٣٥)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد بدأت في الحلقة السابقة في بيان أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وكتبت تعريفات مختصرة تبين السياق وأهميته وأقسامه. وذكرت أنني سأقسم أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السُّنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

ثم بدأت الكلام عن أدلة القرآن: القرائن اللفظية المتصلة بالنص:

١- قوله تعالى: « وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » (النور: ٣١).

٢- قوله عز وجل: « وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ » (النور: ٦٠).

٣- قوله جل وعلا: « يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ » (الأحزاب: ٣٢، ٣٣).

٤- قوله سبحانه: « وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ » (الأحزاب: ٥٣)، ونواصل الحديث بإذن الله تعالى.

٥- قوله تبارك وتعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (الأحزاب: ٥٩).

القرينة اللفظية في الآية: (يُدنِين عَليهِنَّ من جَلَابيبهنَّ) فما معنى إدناء الجلباب؟

خلاصة ما ذكر في معنى الإدناء:

١- هو تغطية الوجه بالجلباب.

٢- هو شد الجلباب على الجباه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه عن الأنف وإن ظهرت عيناها لكن يستر الصدر ومعظم الوجه.

٣- تغطي وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة.

٤- تغطي نصف وجهها.

٥- تغطية ثغرة نحرها بجلبابها تدنيه عليها.

٦- هو القناع فوق الخمار. (انظر تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٥٠٧-٥٠٨، تفسير الطبري ٢٠/٢٢٤- ٣٢٥، تفسير الفخر الرازي ٢٥/١٨٤، تفسير القرطبي ١٤/٢٤٣، تفسير البحر المحيط ٨/٥٠٤، تفسير ابن كثير ٦/٢٨٤).

وقد سبق أن حررت هذه الآثار من الناحية الحديثية، وبينت أن الآثار التي نقلت عن ابن عباس على أن الإدناء هو تغطية الوجه في رواية، وفي رواية أخرى هو شد الجلباب على الجباه، لم تصح الروايتان سندًا عنه. وصحت آثار عن بعض التابعين في تفسير الإدناء بأنه هو تغطية الوجه، وكذلك صحت آثار بأن الإدناء هو شد الجلباب على الجباه، لكنها موقوفة عليهم وليست مرفوعة.

٢- (منْ جلَابيبهنّ) فما هو الجلباب؟ قيل: هو القناع فوق الخمار، وقيل هو الرداء فوق الخمار. وقيل: الجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أصغر من الرداء وأكبر من الخمار والقناع، تضعه المرأة على رأسها فيتدلى جانباها على عذاريها وينسدل سائره على كتفها وظهرها، تلبسه عند الخروج والسفر (انظر تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٥٠٧-٥٠٨) تفسير ابن كثير ٦/٤٨٢، التحرير والتنوير ٢٢/١٠٦- ١٠٧، المغرب في ترتيب المعرب ص٨٧).

قال ابن السكيت: قالت العامرية: الجلباب: الخمار، وقيل: جلباب المرأة: ملاءتها التي تشتمل بها. وقال الليث: الجلباب: ثوب أوسع من الخمار دون الرداء، تغطى به المرأة رأسها وصدرها (انظر تهذيب اللغة للأزهري ١١/٦٤).

وفي لسان العرب: الجلباب: القميص. والجلباب: ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل هو ثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة، وقيل هو الملحفة قالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثيه:

تمشي النسور اليه لاهية
مشي العذارى عليهن الجلابيب

وقيل: هو ما تغطي به المرأة الثياب من فوق كالملحفة، وقيل: هو الخمار.. وقيل ملاءتها التي تشتمل بها.. (انظر لسان العرب ١/٢٧٢- ٢٧٣).

وكما رأينا فإن الإدناء في الآية اختلفت أقوال أهل العلم فيه، وأرى أنه ليس بدليل قطعي- (أي لا يحتمل إلا معنًى واحدًا)- فيكون حجة لمن استدل بأن الإدناء هو تغطية الوجه. بل هو دليل قطعي في حجاب المرأة وسترها لجميع جسدها بما لا يُظهر مفاتنها. وما يقال في الإدناء يقال أيضًا عن الجلباب.

المجموعة الثانية: أدلة الحجاب من السنة:

١- حديث عائشة رضى الله عنها قالت: "كان الرُّكبانُ يَمُرُّونَ بنا ونحنُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحْرِماتٌ، فإذا حاذَوا بنا أسْدلَتْ إحدانا جِلْبابَها منْ رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفْناهُ"(مسند أحمد وغيره).

القرائن في الحديث:

١- القرائن اللفظية: أ- ونحن مُحْرِمات: ومن المعلوم أن المرأة إحرامها في وجهها، فلا يجوز لها تغطية وجهها.

ب- فإذا حاذونا- الركبان- سدلت إحدانا جلبابها. فهل السدل على الوجه للمحرمة يدل على وجوب تغطية وجه المرأة في غير الإحرام، أم يدل على مشروعية ستره؟ وبكل قال فريق من أهل العلم.

٢- من القرائن الحالية (غير اللفظية) حول الحديث:

١- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في سنده ضعف، وقد سبق أن بينت علته

بالتفصيل عند الكلام عنه- وقد ضعفه الألباني في الإرواء ح ١٠٢٤. وضعفه الأرناؤوط في مسند أحمد ح ٢٤٠٢١).

٢- شواهد الحديث: عن فاطمة بنت المنذر: "كنا نُخمِّر وجوهنا ونحن مُحْرِمات مع أسماء بنت أبي بكر" (موطأ مالك ح ١٠٥٠)، وبنحوه أخرجه الحاكم في المستدرك ح ١٦٦٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الإرواء ح ١٠٢٣.

٣- إقرار النبي صلى الله عليه وسلم: والحديث ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما من إقراره؛ لعلم النبي صلى الله عليه وسلم بسدلهن. فقد ورد في بعض روايات الحديث: ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكون النبي صلى الله عليه وسلم رأى وسكت؛ فهذا يعني أنه أقرّ فعل النساء، لكن السؤال: هل الإقرار يستفاد منه الوجوب أم الاستحباب، أم الإباحة فقط؟

يقول الشاطبي: وأما الإقرار فمحمله على أنه لا حرج في الفعل الذي رآه -عليه الصلاة والسلام- فأقره أو سمع به فأقره- وأن ما لا حرج فيه جِنْسٌ لأنواع: الواجب، والمندوب، والمباح. (انظر الموافقات ٤/٤٣٤- ٤٣٥).

يقول الجويني: اتفق الأصوليون على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرَّر إنسانًا على فعل، فتقريره إياه يدل على أنه غير محظور، ولو كان محظورًا لأنكره، ثم لا يمكن بعد ذلك قطع القول بكونه مباحًا أم واجبًا أو مندوبًا، بل يجتمع فيه هذه الاحتمالات، ولا يتبين من التقرير المطلق إلا نفي الحظر (التلخيص في أصول الفقه ٢/٢٤٦). وقد ذكر جماعة من الأصوليين أن دلالة الإقرار هي الإباحة. يقول الزركشي: التقرير وصورته أن يسكت النبي صلى الله عليه وسلم عن إنكار قول أو فعل قيل أو فُعل بين يديه، أو في عصره وعلم به، فذلك مُنزَّل مَنزِلةَ فعْله في كونه مباحًا (البحر المحيط في أصول الفقه ٦/٥٤).

ويقول المرداوي: "إذا سكت صلى الله عليه وسلم عن إنكار فعل أو قول بحضرته أو زمنه عالمًا به دلّ على جوازه (انظر التحبير شرح التحرير: ٣/١٤٩١).

فالاتفاق على أن تقرير النبي صلى الله عليه وسلم يدل على مشروعية ما أقره، لكن يبقى القول هل التقرير يدل على الوجوب أو على الاستحباب، وهذا يحتاج إلى قرينة أخرى غير إقراره فقط، والله أعلم.

٣- من القرائن اللفظية المنفصلة: ما ثبت من حديث أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- الذي قالت فيه: "المحرمة تلبس من الثياب ما شاءت إلا ثوبًا مسّه وَرْسٌ أو زَعْفرانٌ، ولا تتبرقع ولا تتلثم، وتسدل الثوب على وجهها إن شاءت (أخرجه البيهقي في الكبرى ح ٩٠٥٠، وقال الألباني: سنده صحيح، إرواء الغليل ٤/٢١٢).

وهذا الحديث قد يُشكل على قول من قال بوجوب تغطية وجه المرأة في غير حال الإحرام.

الحديث الثاني: حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ولا تَنْتَقِب المَرْأةُ المُحْرِمةُ، ولا تَلْبَس القُفَّازَيْن". (أخرجه البخاري ح ١٨٣٨ ضمن حديث طويل عن ابن عمر رضي الله عنهما)، وقال بعض أهل العلم: إن هذا موقوف على ابن عمر رضي الله عنهما، لكنَّ البخاري أشار إلى صحة هذه الزيادة، وذكر اتفاق جماعة من الثقات عليها، خلافًا للحافظ في الفتح، فرجَّح أنها موقوفة على ابن عمر رضي الله عنهما. قال الألباني: والأرجح عندي الأول- رفعها للنبي صلى الله عليه وسلم-، وهو الذي يُشعر به قول الترمذي: حديث حسن صحيح.

وللحديث بقية.

والحمد لله رب العالمين.

(١)

سَبِيلُ الحَيَاةِ وسَفِينَةُ النَّجَاة

طريق المكارِم

مَحْفُوف بالمكارِه والمَغارِم

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي صرَّف الدهور والأزمان ودبَّر الخلائق والأكوان حتى عجزت لدى قدرته العقول والأذهان وخضعت لعظمته؛ وصلى الله على نبينا محمد الذي بُعث بأفصح لسان وأعذَب بيان حتى اهتدى به كل حيران فازداد به إيمانًا على إيمان، وعلى آله وأصحابه ذَوُوا الفضل والعرفان، ما تعاقبَ المَلوان، وكرَّ الجديدان، وبعد:

فإنَ الحياةَ في زماننا صارتْ مريرة، وأصبحت النجاة أمَرَّ وأصعبَ منها، ومن نظر في أمرنا، وتأمل في شأننا يؤمن بذلك إيمانًا لا يُخالجه شكٌ، ولا يُخالطه ريْبٌ.

ومعَ أنَ طريقَ النَجاة لا نجدُ راحتَنا بدونه، ولا نظفرُ بضالَّتنا إلَا فيه، ولا نُحسُّ براحَتنا إلا بِه لأنَّه المَأْمول وغايةُ السُّول إلا أنَّ الناس يعدلُون عن سُلوكه وينحَرفون عن الْحرْص عليه.

هذا، مع أن من يخالط الناس ويسمع ما يتهامَسُون به، ويشعر بمَا يستبقُ إلى نفوسهم، ويقرأ ما يقع في هَواجسهم يرى بُعدهم عن سُبِل النَجاة، وحرصهم على سُبُل المَهالك وطرُق الهاويـة.

طريق النجاة محفوف بالمكاره:

طريق النجاة هو طريق الجنة، وهو سبيل يجب التزامه، ويلزم ويتعين اعتزامه، وطريق الجنة فيه حسك وأشواك، وقتاد وعوسج، ومُرٌّ وحنظل، وكلها من النبات الذي يُوعر السبيل، ويصعب المضيَ، وفيها من العقبات التي تقطعُ المرء عن الوصول إلى مراده، وبلوغ حاجته، وتحقيق غرضه، إلا إذا استعان العبد بالله تعالى، فإذا استعان العبد بربه سبحانه هداه سُبله وعبّد له طريقه ويسّر عليه كل صعب، بل يستحيل العذابُ إلى ماء عذبٍ فرات سائغ للشاربين.

“ حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره. ”

عن أبي هُرَيرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حُجبت النارُ بالشهوات، وحُجبت الجنةُ بالمكاره» (رواه البخاري: ٦٤٨٧، ومسلم: ٢٨٢٢). قال ابن حجر: "وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وبديع بلاغته في ذمّ الشهوات وإن مالتْ إليها النفوس والحضّ على الطاعات وإن كرهتها النفوسُ وشقّ عليها.... فإنّ المراد بالمكاره هنا ما أُمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلًا وتركًا كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولًا وفعلًا وأطلق عليها المكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه ومن جملتها الصبرُ على المصيبة والتسليم لأمر الله فيها والمرادُ بالشهوات ما يُستلذ من أمور الدنيا مما منعَ الشرعُ من تعاطيه إمّا بالأصالة وإمّا لكون فعله يستلزمُ تركَ شيء من المأمورات ويلتحقُ بذلك الشبهاتُ والإكثارُ مما أبيح خشيةَ أن يُوقع في المحرّم فكأنه قال: لا يُوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبّر عنها بالمكروهات ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات وهما محجوبتان فمنْ هتكَ الحجابَ اقتحم. (فتح الباري: ١١/٣٢٧).

أصناف الناس في طلب النجاة:

الناس في طلب النجاة ثلاثة أصناف، وعلى ثلاثة أطباق وأحوال لا تخرج عن ذلك.

الصنف الأول: صنف لا يلتفتُ إليها ولا يعبأ بها، بل هو منشغلٌ بغيرها، وغافل عنها، إمّا لكونه على غير الإسلام، وإمّا من المسلمين لكنه مشغولٌ بشهواته ودنياه مع كونه مسلمًا، وهؤلاء قال الله في شأنهم: «إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (يونس: ٧-٨).

وقال تعالى أيضًا: «مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا» (الإسراء: ١٨).

وهؤلاء لا يُنقّبون إلا عن شهواتهم، ولا يطلبون إلا نزواتهم، ولا يبحثون إلا عمّا لا يُجدي عليهم نفعًا في آخرتهم، قد اتخذوا الآخرة وراءهم ظهريًا، وأكلوا شهيًا، ولبسوا دفيًا، وركبوا شريًا، وعاشوا عيشًا هنيًا، وإنك لتعجب أشد العجب من لهجهم وشغفهم ولهفهم بالشهوات حتى كأنَ طلبها عندهم من الفرائض المختومة، وتحقيقها من الوظائف الملزومة، سلمنا الله من حال أهل الغفلة والغواية.

وسبحان الله مع فشو الإنكار، وتكرار الزجر وشيوع الوعيد على كل هذه المسالك لدى الصغار والكبار إلا أنّ الباب دونهم مغلق، والأمر عييٌّ عليهم، والحجب كثيفة على قلوبهم بسوء أعمالهم «كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (المطففين: ١٤).

ومن أوضح آفة هؤلاء القوم لا ينتفعون بجوارحهم فترى نفوسهم ضعيفة وأحوالهم طفيفة وعاداتهم سخيفة، لا يفقهون بقلوبهم شيئًا ولا يكادون يحسنون في الحق قولًا، ولا يملكون لحجّته له سمعًا، وهذه زلّات فاحشة، وفعلاتٌ مُوحشة، لو أدركوا خطرها وعاينوا مصيرها لما ذاقت عيونهم للنوم غمضًا، ولا عرفت أبدانهم للراحة عوضًا، ولا جعلوا من هذه المعاني تركًا ورفضًا.

وصدق الله حين وصفهم وذكر نعتهم فقال: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» (الأعراف: ١٧٩).

فلما أَهْمَلوا جوارِحَهم صارُوا كالبَهائم التي يعيش منها ما يعيش وهو هائم، بل نزلوا إلى الدَّرْك الأسفل فصاروا أقلَّ من الأنعام، وأضلَّ مِن البهائم والهوامَ، وأذلَّ ممَا أدْركه الذُّل والرُّغام ؛ لأنها لم تُكلَّف، ولم تغرز فيها غريزة العقل، بل يكفيها أن يعذبَ شرْبُها، وأن يأمَنَ سرْبُها، وأن يطيبَ لها طعامُها وشُربُها، وهي مع ذلك تسبِّح خالقَها بمَا فطَرَها عليْه، وتعبُدُ ربَّها بمَا هداها إليْه، أمَا ابن آدمُ فقد وفقه اللَّه للعقل، وجعل فيه فهمًا يتبوَأ به منازلَ الفضْل، غير أنه هجر طريق العدل.

وقال أيضًا: « وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ » (الأعراف:١٩٨).

وقال أيضًا: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ » (الأنفال:٢٠-٢٣).

وهؤلاء لا يشعرون بحجم الخسارة ولا يحسون بقدر المصيبة؛ لأنهم في غفلة مستحكمة، والمصيبة في أي شيء هينة إلا مصيبة الدين، فإنها مصيبة لا يُجبَر كسرُها، ولا يعوَّض فقدُها.

مصيبة الإنسان في دينه أعظم من جائحة الدهر

والصنف الثاني: صنف يدَّعي طلبها، ويُظهر قصدَها لكنَّه لم يصدُقْ في ذلك، ولم يقم بشيء من أسباب النَّجاة، ولم يأت بمَا يُعينه على الوُصول، فهو يكتفي بالتَّمنِّي، ويرضى بإظهار بعض الرغبة في ذلك، وهذا الصنف لا يَهُمَه أن يتصدَى لتلك الطرائق، ولا يشغُله أن يغُوص على شيء من هذه الحقائق.

والصنف الثالث: هو خُلاصة الخَلق، وزُبْدة أهل الحَق وقالة الصَدق، قومٌ قدْ حلَّاهم الله بالتَّوفيق، وأيَدهم بنصْره، ووفَّقهم لهدايته، وقرنَ منطقهم بالسَّداد، وجعل عاقبتهم الحُسنى ويسَر خاتمَتهم لليُسرى، وليس هُنالك ما هو أحظى من ذلك، وهو صنفٌ يعيش لأجل هذه النَجاة، ويقضي حياتَه في طلَبها، ويعملُ للظَّفر بها، ويجتهدُ في ارْتيَادها، ويتعبُ في التَّنْقير عنها أزْمنة، وطلبها طلب الخبيء في الأمْكنة، ويبحثُ عنها بحث الدفين ؛ لأنه يقظان النفس، منتبهٌ إلى المَصير المنتَظر، ومستعدٌ للقَاء المَحْتوم، ولذا فهو يعجِّل بالعَمَل الصَالح قبَل هُجوم المنيَّة، وفوات الأمْنيَة، وهؤلاء خير البريَّة.

> خلاصة الخلق، وزبدة أهل الحق وقالة الصدق، قومٌ قدْ حلَّاهم الله بالتَّوفيق، وأيَدهم بنصْره، ووفَّقهم لهدايته، وقرنَ منطقهم بالسَّداد، وجعل عاقبتهم الحُسنى ويسْر خاتمَتهم لليُسرى.

وهؤلاء قال الله فيهم: « وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا » (الإسراء: ١٩).

فكن من هذا الصنف الثالث الذي يكون دائم الاستعانة بالله، ماضي العزائم، قوي الإرادة طويل النفس، بصيرًا بالطريق وعقباته، مُحبًّا لدينه، حريصًا على الظفر بآخرته.

وليسَ يردُّ النفسَ عن شهوَاتها من القوْم إلا كلُّ ماضي العزائم

إن هذه الأوصاف تحسم مادة الغفلة عن طريق النجاة، وتقطعُ العادات التي تعُوق المْرء، وتُزيل عنه العَوالق التي تعلَق به فتقعده وتُثبَطه.

وهذا الصنف أيضًا محبٌ للحق مائلٌ إليه صادفٌ عمَا سواهُ، ومع أنَ الْحَقَ مُرٌّ، ومن توخاه لزمه أنْ يتحمَل مرارتَه، إلَا أنهم قد رضُوا بهذه المَرارة، وصبروا على بشاعَتها، وأرْغموا الطبع على قبول الدَواء مع كراهة طعْمه لأنه ليْس ينفع الدواءُ إلا بالصَبر على مَرارته.

وبهذا ملك هذا الصنف من نفسه الزمام، وعُوفي من الوقوع في المَلام، ونجا من الحسرة والندامة، وفاز في الدارين بالسلامة، ولا يخفى هذا على المنصف المعافى من الهوى.

وللحديث بقية إن شاء الله.

معالم في الدعوة إلى الله تعالى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فيجب على الدعاة إلى رسالة الإسلام الخالدة اقتفاء أثر النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغها، وهي رسالة عامة كاملة، ونعمة تامة سابغة، امتن الله بها على الإنسانية كلها -وهي مدعوة إلى الإيمان بها أينما وجد منها فرداً أو جماعة- منذ علم الله تعالى أنموذجها الأول آدم عليه السلام، تعليم استعداد مفطور، جعله في جبلته، واستجلى ظهوره في ذريته جيلاً بعد جيل.

إعداد د. عبد الوارث عثمان

أستاذ الفقه المقارن جامعة الأزهر

إن هذه الرسالة العالمية تتحمل أمة الإسلام مسؤولية تبليغها وصونها وحمايتها من عبث العابثين وكيد الكائدين، فيعرضون هدايتها وحقائق وحيها، عرضا يبلغ من العقول وكامن اليقين، والإقناع الذي لا تبقى للشبهة معه مكان.

ومن هنا فإن تبليغ الرسالة أول مراتب الجهاد، فهو جهاد بالحجة، وهو جدل تتوالى دلائله وتتابع براهينه في جانب الأمر والنهي، والطلب والترك، والإيجاب والسلب، سلبًا في النهي عن الانحرافات العقيدية والتعبدية والسلوك الاجتماعي في الأخلاق والمعاشرة والمعاملات، بما يجب أن يفضي إلى القضاء على الانحرافات، ويقود أسسها، ويهدم دعائمها المعششة في أوهام المدارك، ويمسح آثارها من لوح الحياة وواقع الوجود، وإيجابًا في الأمر وطلب ما يجب أن يملأ فراغ القلوب والعقول والأرواح من عقيدة مستقيمة النهج يسيغها العقل ويثبتها، وينصرها الحس ويهضمها، ويرحب بها الوجدان ويتقبلها ويهش لها الضمير الإنساني ويتشربها، وتعبدات ترتاح لها الفطر السليمة النقية، وأخلاق يرتضيها الشعور الإنساني المهذب، ومعاملات يسودها العدل ومودة الإخاء الإنساني، ومساواة في الحقوق والواجبات الإنسانية، وتراحم، مع التذرع بالصبر المكافح وعزيمة احتمال الأذى وفادح البلاء. وقد يفضي الأمر بالأمة الإسلامية إلى الجهاد والمدافعة لأعداء الله وأعداء رسالته المتربصين لتعويق سير دعوتهم إلى أهدافها من العقول والقلوب والأرواح.

> "إن هذه الرسالة العالمية تتحمل أمة الإسلام مسؤولية تبليغها وصونها وحمايتها من عبث العابثين وكيد الكائدين."

وتبليغ هذه الرسالة التي رفع لواءها النبي صلى الله عليه وسلم رسول الإنسانية الذي أرسله الله ليخرجها من الظلمات إلى النور بإذن ربه يتركز على ثلاثة أمور لا بد من تحقيقها:

أولا: فقه الداعية لمهمته ودعوته.

ثانيًا: طريقة إعداد الدعاة وتكوينهم.

ثالثا: إجادة استخدام وسائل الدعوة ومناهجها.

ومن الإجمال إلى التفصيل:

أولاً: فقه الداعية لمهمته ودعوته:

إن الداعية إلى الله تعالى يجب أن يبلغ من قوة الإيمان ما يجعله، وأن يبلغ من شدة الإخلاص ما يدفعه للتضحية بأعز وأنفس ما يملك في الدعوة إلى الله وتوحيده وإعلاء كلمته، فالدعوة إلى الله من أعظم القربات، وكفاها عزًا وفخرًا أنها عمل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذه المهمة جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ملقاة على عاتق العلماء المخلصين، والدعاة الصادقين في قوله صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية" (رواه أحمد في مسنده ٦٤٨٦).

والدعوة إلى الله والاشتغال بها، والإحاطة بكيفية استخدام وسائلها ومعرفة مناهجها هو أرفع أنواع العلم وأعلاه رتبة، ولذلك قال بعضهم: "ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام الناس، ولكن العلم حاكم على الملوك".

والدعاة إلى الله يقومون والتبليغ عن الله تعالى على هدى وحيه إلى رسله عليهم الصلاة والسلام والخطباء من الدعاة هم ألسنة الإسلام ورسالته، ولما كان التبليغ عن الله سبحانه وتعالى لا يكون إلا بعد العلم بما يبلغ والصدق فيه، لم تحصل مرتبة التبليغ إلا لمن اتصف بالعلم والصدق.

يقول ابن القيم في إعلام الموقعين عن رب العالمين: "وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا يُنكر فضله، ولا يُجهل قدره، وهو من أعلى المراتب، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟! فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يُعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه...، وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن بأنه مسؤول غدًا وموقوف بين يدي الله".

وقد بشر الله سبحانه وتعالى الدعاة إلى الله بالفلاح في قوله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٠٤)، والأمة المسلمة هي الأمة المستشهدة على الأمم، والتي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس بقيامها بالدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ يقول تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران:١١٠).

> "لا تكليف من غير إعلام ولا ثواب ولا عقاب من غير علم بالرسالة ودعوة إليها."

ووظيفة هذه الأمة حراسة وحي الله وابقاؤه منارًا عاليًا يومض بالإشعاع الهادي كي يهتدي به السائرون في ظلمات البر والبحر. عن أبي أمامة الباهلي قال: "ذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان؛ أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير" (صحيح الترمذي ٢٦٨٥)، وفي الصحيح: "العلماء ورثة الأنبياء".

والدعاة اليوم لا يقومون بمهمة تعليم الناس الخير ووعظهم وإرشادهم وتذكيرهم بالله فحسب.. وانما يقومون بإعادة بعث دين الله من جديد. وحتى تظل الدعوة إلى الإسلام قائمة إلى يوم الدين كانت تلك الدعوة واجبة على الأمة كلها وجوبًا فرديًا وجماعيًا تنفيذًا لقوله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٠٤)، ولأنه لا تكليف من غير إعلام ولا ثواب ولا عقاب من غير علم بالرسالة ودعوة إليها يكون على الأمة واجبان، أحداهما: ما يقوم به كل واحد بعينه في الدعوة إلى الله هاديًا مرشدًا. ثانيهما: أن يخصص لهذه الدعوة من الأمة من يكون له فضل علم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفضل كفاية بيانية وحكمة إدراك كما فعل رسول الله صلى الله

عليه وسلم عندما اختار مصعب بن عمير رضي الله عنه لأهل المدينة يفقههم في الدين ويعرفهم القرآن ويؤمهم في الصلاة؛ فكان نعم الداعية بفقه مهمته ودعوته التي أينع ثمرها وطاب غرسها.

ومن الواقع العملي في حقل الدعوة إلى الله عز وجل يتبين لنا أن المشتغلين بالدعوة ينقسمون إلى قسمين: دعاة وأدعياء؛ فالدعاة هم المتخصصون في هذا المجال الفاهمون لمتطلباته الذين أفنوا زهرة شبابهم في تحصيل سائر المعارف التي تخدم هذه الدعوة والتزموا بها قولاً وفعلاً وإرشادًا، والأدعياء هم المقمحون أنفسهم في هذا المجال من غير دراية كافية لما يجب لتبليغ رسالة الإسلام على نحو يضمن سلامة الدعوة من طعن الطاعنين وتقولات المتخرصين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ولا أقصد بذلك أن الدعوة الإسلامية في تبليغها قاصرة على فئة معينة أو جماعة محددة أو هي حكر على أناس مخصوصين؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "بلغوا عني ولو آية". فلن يُمنع أحد من التبليغ، ولكن يبلغ الإنسان بالقدر الذي يعرفه لا يُقْحم نفسه في كل علم من العلوم الإسلامية.

ثانيا: طريقة إعداد الدعاة وتكوينهم:

وإذا كانت هذه مهمة الدعاة إلى الله ومنزلة الدعوة وحاجة البشرية إليها؛ فإنه من الواجب الاهتمام بطريقة إعداد الدعاة وتكوينهم بتوسيع مداركهم ومعرفة أحوال المدعوين وطبائعهم ومخاطبتهم على قدر عقولهم وبلسانهم ومواكبة العصر والاستفادة مما جدَّ من تقنيات في وسائل الاتصالات الحديثة المقروءة والمسموعة والمرئية وتوظيفها في خدمة الدعوة إلى الله وبيان حقائق الإسلام ودحض الأباطيل والشبهات وتصحيح المفاهيم الخاطئة وتوظيف تلك التقنيات الحديثة في خدمة كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حفظًا وترتيلاً وتدبرًا وعملاً، والحث على مكارم الأخلاق مقترنة بطلب المزيد من العلم النافع؛ لأن العلم مفتاح العلا والرقي والتقدم والنهوض وهو سبيل الأمة إلى العز والمجد والسيادة والريادة، والعلماء هم صفوة الأمة وهم شهود الحق، قال تعالى: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم» ((ل عمران: ١٨).

ومن ثم كان على الداعية إلى الله التحلي بالخلق الكريم، وأن يكون قدوة طيبة وأسوة حسنة، قال علي بن أبي طالب: " حال رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل".

ثالثا: وسائل الدعوة ومناهجها:

والمقصود بالمنهج هنا طريقة التخطيط وفق مستجدات العصر للوصول بالدعوة إلى قلب المدعو وتتنوع هذه المناهج بتنوع أحوال المدعوين فمن منهج فطري إلى منهج عاطفي أو عقلي أو علمي في ضوء الكتاب والسنة وفقه الأولويات وفقه النوازل حتى تؤتي الدعوة أكلها بإذن ربها بهدى وموعظة يقول-سبحانه وتعالى-: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» (سورة النحل: ١٢٥)، والحكمة في اللغة بمعنى العدل والحلم والنبوة والقرآن. والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعمل وفي الشرع جاءت بأكثر من معنى ويجمعها الإصابة في القول والعمل معًا.

والحمد لله رب العالمين.

أخبار العالم الإسلامي

إسلام ٦٨٣١ شخصا في ١٥ قرية بدولة غانا الإفريقية

أعلنت مؤسسةُ نماء الخيرية عن نتائج "قافلة الوالدة الدعوية" التي جابت بها ١٥ قرية في أكثر من منطقة بدولة غانا الإفريقية، وذلك في إطار فعاليات وأنشطة المؤسسة الدعوية خلال العام الجاري.

وتسبَّبت القافلة في دخول الإسلام ١٥ قرية لم يكن بها مسلمون من قبل، كما بلغ عدد المسلمين الجدد خلال القافلة حوالي ٦٨٣١ شخصًا كانوا قد أشهروا إسلامهم على يد دعاة المؤسسة، إثر الأنشطة والمحاضرات الدعوية المختلفة، وقامت مؤسسة نماء الخيرية بذبح أكثر من ٥٨ ذبيحة، لتنفيذ موائد الطعام وافطار الصائمين والولائم الخيرية داخل القرى الفقيرة.

مسلمو ولاية كاليفورنيا يساعدون المحتاجين ضد فيروس كورونا

يمثِّل توفيرُ المعدات الصحية تحديًا متزايدًا يواجه مجتمعات مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية، في ظل انتشار فيروس كورونا المستمر منذ شهور في جميع الولايات الأمريكية المختلفة، لذلك قرر مجموعة من المتطوعين المسلمين في ولاية كاليفورنيا تقديم المساعدة لأفراد المجتمع، من خلال توزيع الأقنعة الواقية من الفيروسات، وعدد من الخدمات الطبية المقدمة، استجابة منهم لنداء المسؤولين والمتخصصين للحد من انتشار فيروس كورونا، ووَفق تقارير صحفية، فقد اجتمع عددٌ من الجمعيات الإسلامية والمتطوعين الشهر الجاري من أجل توزيع حوالي ٧٥٠٠ قناع واقٍ عالي الجودة، وقابل للاستخدام أكثر من مرةَ بشكل مجاني على المواطنين.

مساجد أسكتلندا تعود لفتح أبوابها من جديد

بعد أشهر من الغلق التام بسبب انتشار فيروس كورونا في "أسكتلندا" كغيرها من دول العالم، عادت المساجد والمراكز الإسلامية في أسكتلندا لفتح أبوابها للمصلين مرة أخرى بعد غلقها منذ شهر مارس الماضي، جراء مجموعة من الإجراءات الاحترازية والوقائية، وقد رحبت المساجد والمراكز الإسلامية بقرار إعادة الفتح مرة أخرى، مؤكدين التزامهم بكافة الإجراءات الوقائية المتبعة؛ مما يمكن المصلين من الدخول إلى المساجد مرة أخرى، ومن بين المساجد التي تم إعادة فتحها المسجد الرئيسي والمركز الإسلامي في أبردين، ومسجد الحكمة، ومسجد إينفيرنيس ومسجد دندي المركزي، وذلك بعد أسابيع من التحضير وتطبيق الإجراءات، وأوضح فاروق دوراني مسؤول مسجد الحكمة بمدينة أبردين أن المسجد كان يقدم خدمات افتراضية لجميع أعضاء المجتمع في أبردين طول فترة الإغلاق، كما هو الحال مع المراكز الإسلامية الأخرى التي كانت تقوم بإرسال الوجبات الغذائية للمحتاجين، وأكمل فاروق دوراني أنه من الرائع العودة مرة ثانية للمساجد، لكن مع اتباع كافة الإجراءات الاحترازية والقواعد الصحية، وتبقى سلامة المصلين من أولوياتنا.

إعداد / محمد محمود فتحي

المؤسسات الإسلامية البريطانية تقدم مثلا رائعاً في ظل أزمة كورونا

تركت الأشهر الماضية عبئًا ثقيلًا على كافة دول العالم في مواجهة وباء فيروس كورونا، مما استوجب على الجمعيات والمؤسسات الخيرية المختلفة الوقوف بجانب الناس والدول لعبور هذه الأزمة الصحية الكبيرة، وانطلاقًا من تعاليم الإسلام، فقد ضربت المؤسسات الإسلامية الخيرية والاجتماعية في بريطانيا مثلًا رائعًا في الوقوف بجانب الناس في الأوقات الصعبة؛ لتخطي أزمة فيروس كورونا، والمساعدة في الحفاظ على سلامة وحياة الناس، وعلى مدار الشهور الماضية، وفي ظل الإجراءات الصحية والوقائية - أقامت معظم الجمعيات الخيرية والمراكز الإسلامية عددًا من الأنشطة والفعاليات التي تهدف إلى مساعدة الناس والمتضررين من أزمة انتشار الفيروس.

وذكر منتدى الجمعيات الخيرية الإسلامية (MCF) في تقريرها الجديد أن ١٩٤ مؤسسة خيرية إسلامية قدمت مجموعة كبيرة من الخدمات لمستحقيها، ومَن هم في أمسّ الحاجة إليها بسبب تفشي المرض.

وقال "Fadi Itani" الرئيس التنفيذي لمنتدى الجمعيات الخيرية الإسلامية في بريطانيا: "إن المؤسسات قدمت المساعدات، ووقفت بجانب المجتمع البريطاني، انطلاقًا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤمنُ بالله واليَوْمِ الآخر، فَلْيُحْسِنْ إلى جاره».

فقد قامت بعض الجمعيات الإسلامية بمساعدة الكثير من الناس الذين يعانون قلة كسب العيش بسبب توقف أعمالهم في ظل أزمة كورونا.

قوافل دعوية لتوزيع الكتب وتعريف الناس بالإسلام في تايلاند

تقيم "جمعية النور للتنمية" عددًا من القوافل الدعوية في "تايلاند"؛ حيث تقوم بتوزيع العديد من الكتب التعريفية بالإسلام، والتحدث مع الناس وتعريفهم بالإسلام، والإجابة على الأسئلة وغيرها من الفعاليات. وأوضح الشيخ محمد شاهين مشرف جمعية النور :- أن القوافل الدعوية لتوزيع الكتب التعريفية بالإسلام هي قوافل متحركة لضمان توزيع أكبر كمٍّ من الكتب على الناس والحديث معهم للدخول إلى الإسلام.

كما أشار محمد شاهين إلى أن أعضاء الجمعية والمتطوعين قد نجحوا في توزيع أكثر من ١٠٠٠ كتاب دعوي مترجم إلى اللغة التايلاندية، لينتفع من هذه القافلة الدعوية أكثر من ٢٥٠ من غير المسلمين، وتسعى جمعية النور إلى توزيع عدد أكبر من الكتب خلال القوافل الدعوية القادمة، ونفذت جمعية النور للتنمية خمس قوافل دعوية أسبوعية إلى الآن، وقد وزّعت خلالها عددًا كبيرًا من الكتب التعريفية بالإسلام خلال يومي السبت والأحد من كل أسبوع، كما أسلم خلال القوافل بعض من الناس على يد دعاة الجمعية.

ومن الجدير بالذكر أن "جمعية النور للتنمية" تسعى لنشر وتبليغ الإسلام داخل مدن تايلاند من خلال العديد من الفعاليات والأنشطة الدعوية، كما تتولى الجمعية توزيع الكتب الإسلامية للطلاب المسلمين وغيرهم بعدد من اللغات؛ مثل: اللغة التايلاندية، ولغة فيتنام، ولغة بورما، ولغة كمبوديا، وذلك بالتعاون مع جمعية "تبليغ الإسلام".

الأفراح بين المحظور والمباح

التجهيز للبناء بين العروسين

(٥)

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

فإن الله سبحانه وتعالى أراد بعباده اليسر فقال جل وعلا: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر". سورة البقرة. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين". بل أمر عليه الصلاة والسلام بالتيسير بين الناس وعدم الإعسار عليهم فقال: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا". البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤). فإذا كان الأمر كذلك فتعالوا بنا نطبق ذلك المبدأ الرحيم على الزواج وتبعاته من نفقات وتجهيزات.

جهاز فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم

لننظر جميعا إلى جهاز واحدة من سيدات نساء العالمين، بنت سيد ولد آدم أجمعين، حينما جهزها أبوها صلى الله عليه وسلم لتدخل بيت الزوجية.

قالت أم أيمن رضي الله عنها: وَليتُ جَهازها (أي جهاز فاطمة) فكان فيما جهزتها به مرفقة (وسادة أي مخدة) من أدم (جلد) حشوها ليف (ليف النخل) وبطحاء (رمل) مفروش في بيتها.

عن دارم بن عبد الرحمن بن ثعلبة الحنفي قال: حدثني رجل أخواله الأنصار قال: أخبرتني جدتي أنها كانت مع النسوة اللاتي أهدين فاطمة إلى علي ؛ قالت: أُهْديَت في بُردين (ثوبين) عليهما دُملوجان (حُلي أملس) من فضة مُصفّران (مطيبان) بزعفران، فدخلنا بيت علي فإذا إهاب (جلد) شاة على دكان (دكة مبنية من الطين للجلوس عليها كالمصطبة) ووسادة (مخدة) فيها ليف، وقِرْبة (سقاء) ومنخل ومنشفة وقدح (إناء يؤكل فيه).

قال علي: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها. والناضح هو: البعير.

وعن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوَّجه فاطمة بعث معها بخميلة (قطيفة) ووسادة أدم حشوها ليف". ابن حبان. ورحائين وسقاء وجرتين - والجرة إناء من الفخار - فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت - سقيتُ - حتى قد اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه - اطلبي خادمًا - فقالت: وأنا والله قد طحنت حتى مَجَلتْ (تورمت) يداي، فأتت

النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما جاء بك يا بنية»؟ قالت: جئت لأسلم عليك، واستحْيَتْ أن تسأله ورجعتْ، فقال علي: «ما فعلت»؟ قالت: استحْيَيْتُ أن أسأله، فأتياه جميعًا فقال علي: والله يا رسول الله لقد سَنَوْتُ حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي وقد أتى الله بسبي وَسَعة فاخدمنا، قال: «والله لا أعطيكما وأدعُ أهل الصفة تُطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم (يعني يبيع الخدم) أنفق عليهم أثمانهم»، فرجعا فأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما بدت رؤوسهما فثارا، فقال: «مكانكما: ألا أخبركما بخير مما سألتماني»؟ فقالا: بلى، فقال: «كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان في دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أَوَيتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبِّرا أربعًا وثلاثين»، قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله، فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، ولا ليلة صفين. وليلة صفين كانت ليلة حرب وشدة. الترغيب والترهيب٢/٣٧٢.

فانظروا أيها المسلمون هذه بنت سيد البشر وهذا جَهازها، وهذا موقف أبيها منها لما طلبت خادمًا ليس ترفهًا ولا من الكماليات، وإنما لأنها قد تورمت يدها من طحن الحب على الرحى، واشتكى زوجها علي آلام صدره من كثرة سقي الماء، ثم إن عندهما في البيت قطيفة (غطاء) لا يكفي لتغطيتهما كما في رواية ابن حبان. قالت فاطمة: وعلينا قطيفة إذا لبسناها طولا خرجت منها جنوبنا، وإذا لبسناها عرضًا خرجت منها رؤوسنا وأقدامنا.

فهل نتعلم من هؤلاء الأخيار؟ ولا أقول نضيق على أنفسنا ولكن أقول: لا نشدد على أنفسنا ولا نكلفها ما لا تطيق، فالله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: في هذا الحديث فائدة: أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء، لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه وسلم على ذلك. كذا أفاده ابن تيمية. قال ابن حجر: وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب، بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل عليه ولو حصل له التعب، والله أعلم.

قال: وفيه أيضا ما كان عليه السلف الصالح من شظف العيش وقلة الشيء وشدة الحال، وأن الله تعالى حماهم الدنيا مع إمكان ذلك صيانة لهم من تبعاتها، وتلك سنة أكثر الأنبياء والأولياء.

وذكر ابن حجر رحمه الله رواية تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل على فاطمة وعلي بدون إذن: قال علي: فأتانا وقد دخلنا فراشنا، فلما استأذن علينا تخششنا لنلبس علينا ثيابنا، فلما سمع منا ذلك قال: «كما أنتما في لحافكما».

قال: وفي الحديث إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب، حيث لم يزعجهما عن مكانهما فتركهما على حالة اضطجاعهما وبالغ حتى أدخل رجله بينهما حتى علمهما ما هو الأَوْلى بحالهما من الذكر عوضًا عما طلباه من الخادم. فتح الباري١١/١٢٠ بتصرف.

إعلان النكاح والغناء فيه والضرب بالدفوف

عن ابن الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعلنوا النكاح». صحيح الجامع ح١٠٧٢.

عن يحيى بن سليم قال: قلت لمحمد بن حاطب: تزوجت امرأتين ما كان في واحدة منهما صوت (يعني دفا) فقال محمد: قال صلى الله عليه وسلم: «فصل ما بين الحلال والحرام الصوت بالدف». (أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد)

والمعنى أن الفرق بين النكاح الجائز وغيره الإعلان والإشهار. والصوت هو الغناء المباح.

قال المباركفوري: وقال الفقهاء: المراد بالدف ما لا جلاجل له، كذا ذكره ابن الهمام، قال الحافظ ابن حجر: واستدل (السبكي) بقوله: «واضربوا» على أن ذلك لا يختص بالنساء لكنه ضعيف، والأحاديث القوية فيها الإذن في ذلك للنساء فلا يلتحق بهن الرجال لعموم النهي عن التشبه بهن انتهى. قلت: وكذلك الغناء المباح في العرس مختص بالنساء فلا يجوز للرجال.

تحفة الأحوذي ٤/١٧٨.

وقال المناوي: وقد أفاد الخبر حل ضرب الدف في العرس، ومثله كل حادث سرور، ومذهب الشافعية أن الضرب به مباح مطلقا ولو بجلاجل وقد وقع الضرب به بحضرة شارع الملة ومبين الحل من الحرمة.

عن عائشة أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو». والمقصود باللهو الغناء. البخاري.

لكن كيف يكون الغناء ؟

يصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه ونموذجا منه:

عن جابر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: «أهديتم الجارية إلى بيتها»؟ قالت: نعم. قال: «فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول:

أتيناكم أتيناكم
فحيونا نحييكم

فإن الأنصار قوم فيهم غزل». أحمد والبزار. حسن لغيره.

عن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه أن أمة سوداء أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من بعض مغازيه، فقالت: إني كنت نذرت إن ردك الله صالحا أن أضرب عندك بالدف، قال: «إن كنت فعلت فافعلي، وإن كنت لم تفعلي فلا تفعلي». فضربت فدخل أبو بكر وهي تضرب، ودخل غيره وهي تضرب، ثم دخل عمر فجعلت دُفها خلفها وهي مُقنَّعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان ليَفْرَقُ منك يا عمر، أنا جالس ها هنا ودخل هؤلاء، فلما أن دخلتَ فعلت ما فعلتْ». مسند أحمد ٥/٣٥٣.

وإذا كان هذا الحديث عن إعلان النكاح فإن لزواج السر أضرارًا بالغة كما سيأتي.

زواج السر ومشاكله

عن الحسن أن رجلاً تزوج امرأة، فاسرَّ ذلك فكان يختلف إليه (يتردد عليها) في منزلها، فرآه جار لها يدخل عليها فقذفه بها، فخاصمه إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين هذا كان يدخل على جارية ولا أعلمه تزوجها، فقال له: ما تقول ؟ فقال: تزوجت امرأة على شيء دون، فأخفيت ذلك، قال: فمن شهدكم ؟ قال: أشهدت بعض أهلها، قال: فدرأ الحد عن قاذفه وقال: أعلنوا هذا النكاح وحصنوا هذه الفروج .

وعن حماد بن زيد عن هشام قال: كان أبي يقول: لا يصلح نكاح السر. وعن داود بن حسين قال: سمعت نافعًا مولى ابن عمر يقول: ليس في الإسلام نكاح السر. وعن عبد الله بن عتبة قال: أشر النكاح السر.

قلت: مَن وضع نفسه مواضع الرِّيَب؛ فلا يلومنَّ مَن أساء به الظن.

تجهيز النساء المرأة لزوجها والاقتصار في الوقت

لا مانع بل ينبغي أن تقوم بعض النسوة من أقارب العروس يوم زفافها بإعدادها لزوجها من تمشيط وتهذيب وتزيين في حدود المباح بدون نمص أو تبرج أو اختلاط بين الرجال والنساء الأجانب، أو رؤية عورات فكل ذلك محرم. وتعود النساء فور قيامهن بهذه المهمة لترك العروس تستريح وتتهيأ لدخول زوجها عليها فهذا يومه ويومها.

عن عائشة أنها زوجت يتيمة كانت في حجرها رجلا من الأنصار قالت: وكنت فيمن أهداها إلى زوجها فلما رجعنا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما قلتم يا عائشة»؟ قالت: قلت: سلمنا ودعونا الله بالبركة ثم انصرفنا. أخرجه أبو الشيخ في كتاب النكاح، انظر فتح الباري ج٩ص٢٢٥.

الدعاء للعروسين

باب كيف يُدعى للمتزوج، عن أنس صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صُفرة - عطر - قال: «ما هذا»؟ قال: إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، قال: «بارك الله لك، أوْلم ولو بشاة». وفي باب الدعاء للنساء اللاتي يهدين العروس وللعروس. عن عائشة لله قالت: تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم فأتتني أمي فأدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر. البخاري.

وعن عقيل بن أبي طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تزوج أحدكم فليُقل له: بارك الله لك وبارك عليك». وزاد في رواية: «وجمع بينكما في خير». صحيح الجامع ح٤٢٨.

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٤٣)

قصة عاشوراء مع الأنبياء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ خاصة في يوم عاشوراء. وإلى القارئ التخريج والتحقيق.

إعداد **علي حشيش**

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١) اشتهار هذه القصة لوجودها في بعض كتب السنة الأصلية.

٢) انتشار هذه القصص الواهية والأحاديث الموضوعة في الصحف والقنوات وعلى ألسنة كثير من الوعاظ والقصاص بمناسبة يوم عاشوراء.

أ) قال الإمام ابن جرير الطبري المتوفى (٣١٠هـ) في «التاريخ» (٣٣١/٣): «السنة الحادية والستون. ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث: فمن ذلك مقتل الحسين رضي الله عنه قتل فيها في المحرم بعشر خلون منه».اهـ.

ب) وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥٤٤/٧): «ثم دخلت سنة إحدى وستون فقُتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في يوم عاشوراء من شهر المحرم من هذه السنة على المشهور».اهـ.

ج) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٣٠٧/٢٥): «قتل الحسين رضي الله عنه مظلومًا شهيدًا شهادة أكرمه الله بها وألحقه بأهل بيته الطيبين الطاهرين، وأهان بها من ظلمه واعتدى عليه، وأوجب ذلك شرًا بين الناس».

قلت: ثم بيّن مظاهر هذا الشرّ فقال:

١) فصارت طائفة جاهلة ظالمة: إما ملحدة منافقة، وإما ضالة غاوية تظهر موالاته وموالاة أهل بيته: تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة، وتظهر فيه شعار الجاهلية من لطم الخدود وشق الجيوب، والتعزي بعزاء الجاهلة.

ثم قال:

٢) فعارض هؤلاء قوم من النواصب المتعصبين على

الحسين وأهل بيته. وأما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد، والكذب بالكذب، والشر بالشر، والبدعة بالبدعة، فوضعوا الآثار -والأحاديث في فضائل عاشوراء-، ووضعوا الأحاديث في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال والاختضاب وتوسيع النفقات على العيال، وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة، ونحو ذلك مما يُفعَل في الأعياد والمواسم فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسمًا كمواسم الأعياد والأفراح.

وأولئك يتخذونه مأتمًا يقيمون فيه الأحزان والأتراح، وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السنة. اهـ.

الاستنتاج:

١) نستنتج مما أوردناه آنفًا أسباب وضع أحاديث عاشوراء

٢) ولقد بينا في سلسلة: «درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار» جزءًا من الأحاديث الموضوعة في عاشوراء، وعلى سبيل المثال لا الحصر: الأحاديث الموضوعة في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال كما في الحديث (٧٨٣)، وتوسيع النفقة على العيال كما في الحديث (٧٨٤) ثم صلاة الأربعين يوم عاشوراء كما في الحديث (٧٨٥).

٣) وسنبين في هذا البحث قصة «عاشوراء مع الأنبياء» تلك القصة الواهية، والتي سنكشف عوارها ونبين عارها ونستخرج من التخريج والتحقيق عللها- التي بها يستبين وضعها.

ثانيا: المتن:

روى عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن نوحًا هبط من السفينة على الجودي يوم عاشوراء، وأمر من معه بصيامه شكرًا لله.

وفي يوم عاشوراء تاب الله على آدم، وعلى أهل مدينة يونس، وفيه فلق البحر لبني إسرائيل، وفيه ولد إبراهيم، وابن مريم».

ثالثا: التخريج:

هذا الخبر أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح (٩٢٦- الغرائب الملتقطة): وقال أبو الشيخ: حدثنا عبد الرحمن بن الحسين، حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، أخبرنا البخاري، عن عثمان بن مطر، عن عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعيد، عن عبد العزيز، عن أبيه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن نوحًا...» الخبر.

رابعا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به قصة «عاشوراء مع الأنبياء» به علتان:

العلة الأولى: عثمان بن مطر:

١) قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٦٩/١/٣): عثمان بن مطر الشيباني أبو الفضل روى عن عبد الغفور بن عبد العزيز وآخرين. وقال: حدثنا الحسين بن الحسن الرازي قال: سألت يحيى بن معين عن عثمان بن مطر قال: «ليس هو بشيء كان ههنا يعني ببغداد».

وقال أيضًا الإمام ابن أبي حاتم سألت أبي عن عثمان بن مطر قال: «ضعيف الحديث منكر الحديث».

وقال ابن أبي حاتم: قلت لأبي زرعة ما تقول في عثمان بن مطر؟ قال: «ضعيف الحديث». اهـ.

٢) وقال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٤٤٤٧/٤٨٢/١٢): عثمان بن مطر الشيباني أبو الفضل روى عن أبي الصباح عبد الغفور بن عبد العزيز الأنصاري الواسطي وآخرين قال أحمد بن سعد بن أبي مريم عن يحيى بن معين: «ضعيف لا يكتب حديثه»، وقال صالح بن محمد البغدادي: «لا يكتب حديثه».

ونقل ما ذكره الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل وأقره». اهـ.

٣) وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٩٩/٣): «عثمان بن مطر الشيباني كنيته أبو الفضل من أهل البصرة كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل الاحتجاج به». اهـ.

٤) قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٦٢/٥) (١٣٢٣/٣٥٥): «عثمان بن مطر الشيباني بصري، وكان ضريرًا، يُكنى أبا الفضل، ثم أخرج بسنده عن يحيى بن معين قال: «عثمان بن مطر: ليس بشيء، ضعيف، لا يُكتب حديثه».

٥) قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٥٣/٢/٣): «عثمان بن مطر الشيباني: منكر الحديث».اهـ.

فائدة: مصطلح «منكر الحديث» عند البخاري له معناه قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» ص (٨٩): «قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين، ففي «الميزان» للذهبي (٥/١): نقل ابن القطان: أن البخاري قال: كل من قلت فيه: منكر الحديث؛ فلا تحل الرواية عنه».اهـ.

الاستنتاج:

نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن عثمان بن مطر: «ليس بشيء، منكر الحديث، يروي الموضوعات لا يحل الاحتجاج به ولا يكتب حديثه».

العلة الثانية: عبد الغفور بن عبد العزيز:

١) قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥٥/١/٣): عبد الغفور بن عبد العزيز أبو الصباح الواسطي، روى عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه عثمان بن مطر الشيباني.

٢) قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٤٨/٢): «عبد الغفور أبو الصباح الواسطي: كان ممن يضع الحديث، لا يحل كتابه حديثه ولا الذكر عنه إلا على جهة التعجب».اهـ.

٣) قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٢٩/٥) (١٤٨١/٥١٣): عبد الغفور بن عبد العزيز أبو الصباح الواسطي: «الضعف على حديث ورواياته بيّن، وهو منكر الحديث». اهـ.

٤) وقال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١٣٧/٢/٣): «عبد الغفور أبو الصباح الواسطي تركوه، منكر الحديث».اهـ.

الاستنتاج:

نستنتج أن الخبر الذي جاءت به قصة «عاشوراء مع الأنبياء» موضوع لما فيه من وضاعين متروكين لا يحل الاحتجاج بهم ولا كتابة حديثهم ولا الذكر عنهم إلا على جهة التعجب. اهـ.

خامسًا: تصحيف في اسم الصحابي:

١) تبين من التخريج أن الخبر الذي جاءت به القصة أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» عن عثمان بن مطر، عن عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعيد، عن عبد العزيز عن أبيه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل مرفوعًا كما بينا آنفًا.

٢) وبالبحث في مسند الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، والبحث في الرواة عنه كما بين ذلك الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢٦٠/١٩٨/٧) في الرواة عنه تبين أنه لا يوجد له ابن يسمى عبد العزيز روى عنه ولا حفيد يسمى عبد الغفور روى عن عبد العزيز.

وبالاستقراء في «مسند أحمد» وبالبحث فيه مسند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (١٨٧/١) ح (١٦٢٥) حتى (١٩٠/١) ح (١٦٥٤) لا يوجد في الرواة عنه من يسمى عبد العزيز بل تبين في «المسند» (١٨٩/١) ح (١٦٤٨) قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا المسعودي، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة... الحديث. فتبين أن ابنه الذي روى عنه يسمى هشام وحفيده يسمى نفيل.

٣) وبالبحث في «أسد الغابة في معرفة الصحابة» للإمام الحافظ عز الدين بن الأثير المتوفى (٦٣٠هـ) قال تحت رقم (٢٠٨٥): «سعيد أبو عبد العزيز، يعد في الصحابة، روى عنه ابنه عبد العزيز». اهـ.

٤) لذلك قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٣٢٩٨)، (٣٧٧٠)، (١٠٢١٣): «سعيد أبو عبد العزيز والد عبد العزيز، جاءت عنه عدة أحاديث من رواية ولده عنه تفرد بها عبد الغفور أبو الصباح بن عبد العزيز عن أبيه عبد العزيز عن أبيه سعيد». اهـ.

٥) الاستنتاج: نستنتج أن اسم الصحابي «سعيد أبو عبد العزيز» صُحّف إلى الصحابي «سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار

في بيان ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٩٦) القسم الثاني

علي حشيش

٨٧٠- «المحرم شهر الله، تاب الله فيه على قوم، ويتوب فيه على قوم».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح (٢٦٠٢- الغرائب الملتقطة) عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي بن أبي طالب مرفوعًا.

هذا حديث غريب يتبين ذلك من قول الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٢٦٥/٩٠٩٤): «النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه. ما روى عنه سوى عبد الرحمن بن إسحاق أحد الضعفاء وهو ابن أخته».اهـ.

قلت: ولبيان درجة ضعف عبد الرحمن بن إسحاق، قال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤/٣٠٤) (١٦٢/١١٢٩): «حدثنا الجنيدي، حدثنا البخاري قال: كنية عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث أو شيبة كناه أحمد، وقال: «منكر الحديث»».

وقال البخاري: هو واسطي، نسبه القاسم بن مالك، فيه نظر. اهـ.

وقال في «الميزان» (٢/٤١٦): «لا يقول البخاري: فيه نظر إلا فيمن يتهمه غالبًا».اهـ.

وبرهن على ذلك بمتون باطلة لهم.

٨٧١- «إن كنت صائمًا بعد شهر رمضان فصُمِ المُحرَّم، فإنه شهر الله، فيه يوم تاب الله فيه على قوم، ويتوب فيه على قوم آخرين».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الترمذي في «السنن» ح (٧٤١) عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال سمعت رجلاً يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قاعد فقال: «يا رسول الله أي شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن كنت صائمًا....» الحديث، وعلته عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة الواسطي منكر الحديث متروك متهم ليس بثقة كما بينا آنفًا.

٨٧٢- «السنة وضع الكف على الكف في الصلاة تحت السرة».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام أبو داود في «السنن» ح(٧٥٦) عن عبد الرحمن بن إسحاق عن زياد بن زيد، عن أبي جحيفة أن عليًا رضي الله عنه قال: «السنة....» الحديث.

وعلته: عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة الواسطي: منكر الحديث متروك متهم ليس بثقة كما بينا آنفًا.

٨٧٣- «إن من السُّنة أن لا تعتمد على يديك حين تريد أن تقوم بعد القعود في الركعتين».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤/٣٠٤) (١٦٢/١١٢٩) عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد عن علي قال:.... فذكره وعلته عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة الواسطي.

٨٧٤- «يوم عاشوراء عيد نبي كان قبلكم فصوموه أنتم».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح (٣٥٥٣- الغرائب الملتقطة) عن يحيى بن عبد الحميد، عن ابن فضيل، عن الهجري، عن أبي عياض، عن أبي هريرة مرفوعًا وعلته يحيى بن عبد الحميد، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٣٩٢/٩٥٦٧): «يحيى بن عبد الحميد الجماني الكوفي، قال أحمد: كان يكذب جهارًا، وقال أحمد بن عبد الله بن نمير: ابن الحماني كذاب. ثم قال الذهبي: شيعي بغيض».اهـ.

٨٧٥- «صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١/٢٣٨) بصيغة الجزم مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «ولم أجده هكذا».

٨٧٦- «من صام يومًا من المحرم فله بكل يوم ثلاثون حسنة».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/٧٢/١١٠٨٢) بنفس الإسناد في الحديث الذي قبله عن ابن عباس مرفوعًا بالعلل الثلاث من كذابين ومتروكين ومن وصف بالاختلاط والاضطراب فتجد إسناد هذا الحديث وسابقه واحدًا ولكن المتن مختلف: ففي هذا الحديث قال: «ثلاثون حسنة» والذي قبله قال: «ثلاثون يومًا».

الحلقة (٧٠)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

أئمة أهل السنة في القرن الخامس على: إثبات صفة (الكلام) لله وحملهم إياها على الحقيقة.. خلافا لما يعتقده الأشاعرة حيال هذه الصفة بقصرها على (الكلام النفسي)

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن أئمة القرن الخامس الهجري وتحت ما عنون له بـ (سياق ما ورد في كتاب الله مما فسَّر أو دلَّ على أن القرآن كلام الله غير مخلوق)، ذكر اللالكائي (ت٤١٨) في تفسير قول الله تعالى: (إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) (يس/ ٨٢) ما نصه: "أخبر سبحانه أن أول الخلق القلم، والكلام قبل القلم، وانما جرى القلم بكلام الله الذي قبل الخلق؛ إذ كان القلم أول الخلق" ا.هـ.

كما استنبط عدم جواز القول بخلق القرآن، من قوله تعالى: (أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ) (الأعراف/ ٥٤)، حيث "فرَق سبحانه بينهما، فالخلق: هو المخلوقات، والأمر: هو القرآن". قال: "كذلك قال أحمد ونعيم بن حماد والذهلي وعبد السلام بن عاصم الرازي وأحمد بن سنان الواسطي".. ومن قوله: (وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي) (السجدة/ ١٣)، فأوضح أن "ما كان منه، فهو غير مخلوق"، وساق في تعضيد ذلك أثراً لوكيع بن الجراح، ثم قال: "وكذلك فسره أحمد ونعيم والحسن البزار والكنائي".. ومن قوله تعالى: (وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ) (لقمان/ ٢٧)؛ حيث أخبر أن "المخلوقات كلها تنفد وتفنى، وكلمات الله لا تفنى، وتصديق ذلك قوله تعالى: (لمن الملك اليوم)، فيجيب تعالى نفسه: (لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ) (غافر/ ١٦)". ثم ساق في ذلك الآثار.

كما ذكر تحت ما عنون له بقوله: (سياق ما روي عن النبي مما يدل على أن القرآن من صفات الله القديمة وما حكي عن آدم وموسى كذلك)، الأحاديث.. ثم اتبعها بذكر إجماع الصحابة، ثم إجماع التابعين من أهل مكة والمدينة والبصرة والكوفة، ثم إجماع تابع التابعين والمشهورين من سائر الأقطار والثغور والعواصم، كل ذلك على جهة التفصيل الذي لا مجال أمامه لطعن أو شك.

كما ساق كثيراً من عباراتهم وحسبنا منها:

قول أبي نعيم: "أدركت ثمانمائة ونيفاً وسبعين شيخاً-منهم الأعمش فمن دونه-؛ فما رأيت خلقاً يقول بمقالة خلق القرآن، ولا تكلم أحد بهذه المقالة إلا رمي بالزندقة". وقول البويطي:

"إنما خلق الله كل شيء بـ (كن)، فإذا كانت (كن)-كلمة الله- مخلوقة، فمخلوق خلق مخلوقاً؟!"، وقد علق اللالكائي يقول بما معناه: "وهذا معنى ما يعبر عنه العلماء اليوم بقولهم: لو كان (كن) الأول مخلوقاً فهو مخلوق بـ (كن) أخرى، وهذا يؤدي إلى ما لا يتناهى، وهذا مستحيل".

وللإمام الجويني عبد الله بن يوسف (ت٤٣٨) فيما عرف في نصيحته بـ (رسالة في مسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد) ما نصه: "وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق- يعني: مساق الاستواء والعلو وسائر صفات الله من أننا لا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين، بل يوصف الرب بها كما يليق بجلاله وعظمته، فيحصل بذلك إثبات ما وصف تعالى نفسه به في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويحصل أيضاً نفي التشبيه والتكييف في صفاته، ويحصل أيضاً ترك التأويل والتحريف المؤدي إلى التعطيل، ويحصل عدم الوقوف بإثبات الصفات وحقائقها على ما يليق بجلال الله وعظمته، لا على ما نعقله نحن من صفات المخلوقين- فإن الله قد تكلم بالقرآن وبجميع حروفه، فقال تعالى: (الم) وقال: (المص) وقال: (ق والقرآن المجيد)، وكذلك جاء في الحديث: (فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب)، وفي الحديث: (لا أقول «الم» حرف، بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف)، فهؤلاء- يقصد الأشاعرة- ما فهموا من كلام الله إلا ما فهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: (إن قلنا بالحروف فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللهوات، وكذلك إذا قلنا بالصوت؛ أدى ذلك إلى الحلق والحنجرة)، عملوا في هذا من التخبُّط كما عملوا فيما تقدم من الصفات".

ثم قال: "والتحقيق هو أنه تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنه قادر والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات، وكذلك له صوت كما يليق به، يُسمع ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس إلى الحلق والحنجرة، كلام الله كما يليق به وصوته كما يليق به، ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات، فإنهما من جناب الحق تعالى لا يفتقران إلى ذلك، وهذا ما ينشرح الصدر له ويستريح الإنسان به من التعسف والتكلف".

وفي رد شبه متكلمة الأشاعرة ممن (يجعلون-على حد قوله- كلام الله معنى قائما بالذات بلا حرف ولا صوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم، وممن ذهب إلى هذه الأقوال وبعضها: قوم لهم في صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين).

يقول الجويني رحمه الله: "فإن قيل: (فهذا الذي يقرأه القارئ هو عين قراءة الله وعين تكلمه هو)، قلنا: (لا؛ بل القارئ يؤدي كلام الله، والكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مؤدياً مبلغاً، ولفظ القارئ في غير القرآن مخلوق، وفي القرآن لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدي عنه، ولهذا منع السلف عن قول: لفظي بالقرآن مخلوق، لأنه لا يتميز؛ كما منعوا عن قول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق، وفي التلاوة مسكوت عنه، كيلا يؤدي الكلام في ذلك إلى القول بخلق القرآن،

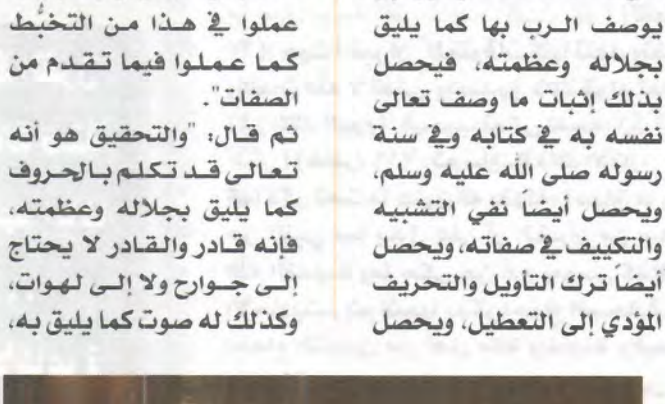

وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه)"ا.هـ من مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٨٤.

وهو والله كلامٌ له من الأهمية ما له؛ لاسيما عبارة الجويني الأخيرة، وبه جميعاً زال ما كان يعبِّر عنه بقوله- شأن من يرد الله هدايته من الأشاعرة-: "كنتُ برهة من الزمن متحيراً في ثلاث مسائل- وذكر منها: (مسألة الحرف والصوت في القرآن)- وكنتُ متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.. فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال، حتى لطف الله وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق كشفاً اطمأن إليه خاطره، وسكن به سره، وتبرهن بالحق في نوره"، وكان ما حكاه في صفة الكلام وغيرها من صفات الله الخبرية والفعلية، وما ذاك إلا بتجرده لمعرفة الحق ووجه الصواب، وعدم تماديه في الباطل نسأل الله أن يبصرنا بعيوبنا وأن يهدنا سبيل الرشاد.

هذا، وللحافظ أبي عمرو الداني إمام القراء (ت٤٤٤) في أرجوزته التي في عقود الديانة، ما نصه:

كلم الله عبده تكليماً
ولم يزل مدبراً حكيماً
كلامه وقوله قديم
وهو فوق عرشه العظيم
والقول في كتابه المفصل
بأنه كلامه المنزل
على رسوله النبي الصادق
ليس بمخلوق ولا بخالق

وفي بيان أن أصل ضلال الأشاعرة في باب وصفه تعالى بالكلام، هو ابتداعهم القول في (الكلام النفسي)، وأن هذا قولٌ لم يُسبقوا إليه، يقول السجزي تلميذ الأشعري (ت٤٤٤)، "اعلموا أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاّب والقلانسي في أن الكلام لا يكون إلا حرفا وصوتاً ذا تأليف واتساق وان اختلفت اللغات.. فلما نبغ ابن كُلاّب وأضرابه حاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل، وهم لا يخبرون أصول السنة ولا ما كان عليه السلف.. فالتزموا ما قالته المعتزلة وركبوا مكابرة العيان وخرقوا الإجماع المنعقد بين الكافة.. ومن عُلم منه خرق إجماع الكافة، ومخالفة كل عقلي وسمعي قبله، لم يُناظر بل يُجانب ويُقمع"ا.هـ من رسالته إلى أهل زبيد (ص٨٠؛ ٨٤).

ولقد أفاد القاضي أبو يعلى (ت ٤٥٨) في الحديث عن صفة الكلام، وأفاض وأجاد، وأفرد لها صفحات كثيرة في كتابه (إبطال التأويلات) وصلت لما يقارب المائتي صفحة ضمَّنها أبواباً جعلها في مسائل متعلقة بهذه الصفة. فمن باب عقده تحت عنوان: (ذكر ما نطق به نص التنزيل من القرآن بأنه كلام الله وأن الله عالم متكلم)، لآخر جعله تحت عنوان: (ما جاءت به السنة عن النبي وأصحابه بأن القرآن كلام الله)، لآخر بعنوان: (الإيمان بأن كلام الله غير مخلوق)، لآخر عن اللفظية، لآخر بعنوان: (اتضاح الحجة في أن القرآن كلام الله غير مخلوق)، لآخر عن مناظرات الممتحنين بين أيدي الملوك، لآخر عن (محنة الإمام احمد بحضرة المعتصم ثم الواثق) إلى آخر ذلك، ونذكر مما جاء في كتابه قوله (ص٢٤٨):

"دلنا كتاب الله على أن القرآن كلام الله، وأنه علمٌ من علم الله، فكلام الله من الله، قال تعالى: (ولكن حق القول مني..) (السجدة/ ١٣)، فمن زعم أن من الله شيئاً مخلوقاً فقد كفر، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد زعم أن الله كان ولا علم له وشبَّه الله بخلقه، ومن قال ذلك فقد جعل الله كخلقه الذين خلقهم جُهَّالاً لا يعلمون ثم علَّمهم، فمن سبق كونه علمه فقد كان جاهلاً فيما بين حدوثه إلى حدوث علمه، قال عزوجل: (وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا) (النحل/ ٧٨)، وقال: (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (النساء/ ١١٣)، وقال: (كَمَا عَلَّمَكُم

مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) (البقرة/ ٢٣٩)، وقال: (عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق/ ٥)".. ثم ضم إلى ذلك أدلة السنة.

كما أوضح رحمه الله (ص٢٩٥) أن خطاب الله لنبيه في قوله تعالى: (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) (الرعد/ ٣٧)، "دليل على أن الذي جاءه هو القرآن"، ذلك أن "القرآن من علم الله، وصفاته تعالى منه.. كما أن الله تكلم به، فمنه خرج وإليه يعود، وليس من الله شيء مخلوق" على حد ما جاء في عبارات إمام السنة أحمد بن حنبل.. ثم راح يروي عن الجهم وشيعته: ضلالاتهم، ويروي كذلك من مناظرات أحمد في ردها: الكثير والكثير مما يضيق المقام عن حصره.

وفي رد شبهتهم فيما تأولوه في قوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (الزمر/ ٦٢)؛ فيكون القرآن كذلك؛ كونه شيئاً.. يقول أبو يعلى في إبطال التأويل ص٣٤٦: "أليس قد قال الله: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (القصص/ ٨٨)، فهل يهلك ما كان من صفات الله؟، هل يهلك علمُ الله فيبقى بلا علم؟، هل تهلك عزته؟.. وقد قال تعالى: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) (الأنعام/ ٤٤)، فهل فتح عليهم أبواب التوبة وأبواب الرحمة وأبواب الطاعة وأبواب العافية وأبواب السعادة وأبواب النجاة مما نزل بهم؟، وقال في بلقيس: (وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ) (النمل/ ٢٣)، ولن تؤت ملك سليمان، ولم تسخر لها الريح ولا الشياطين، ولم يكن لها شيء مما في ملك سليمان.. وهكذا"، وبحق ما أثاروه في قول الله تعالى: (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ) (الأنبياء/ ٢)، يقول رحمه الله: "أراد: محدَثاً علمه وخَبَره وموعظته عنده صلى الله عليه وسلم"، والحق أنه ما من شبهة فاه بها الجهمية والمعتزلة ومتكلمة الأشاعرة إلا وتصدى لها أبو يعلى، بما لا حجة بعدها لمحتجّ.

ولا أحد يستطيع أن ينكر جهود الإمام البيهقي ت٤٥٨ في إثبات صفة الكلام لله ورد شبه معطليها، وذلك من خلال كتابيه (الأسماء والصفات) و(الاعتقاد)، وقد جاء كلامه في الأول منهما فيما يقارب المائة والأربعين صفحة ضمنها أبواباً عدة، جعلها تحت عنوان: (جماع أبواب إثبات صفة الكلام وما يستدل به على أن القرآن كلام الله غير محدث ولا مخلوق ولا حادث)، وذكر منها: (باب ما جاء في إثبات صفة الكلام)، (باب ما جاء في إثبات صفة القول)، (باب ما جاء في إثبات صفة التكليم والتكلم)، (باب ما جاء في إسماع الرب بعض ملائكته كلامه الذي لم يزل به موصوفاً ولا يزال)، (باب إسماع الرب كلامه من شاء من ملائكته ورسله وعباده)، (باب رواية النبي قول الله في الوعد والوعيد)، (باب قول الله: لله الأمر من قبل ومن بعد)، (باب ما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في أن كلام الله غير مخلوق)، (باب الفرق بين التلاوة والمتلو) إلى آخر ذلك.

بينا جاء حديثه عن صفة الكلام في الثاني منهما تحت عنوان: (باب القول في القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق)، فنّد من خلاله كلام الجهمية والمعتزلة ومن لف لفهما، كما تحدث عن نصوص يُستدل من خلالها على إثبات هذه الصفة لله، ورد شبهات المعطلين لها، إلى أن ختم كلامه بحكاية إجماع السلف على أن القرآن كلام الله.

وإلى لقاء.. والحمد لله رب العالمين.

صلاة الجنازة

الحلقة الثالثة

إعداد **د. حمدي طه**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يـزال الحـديـث متصلاً عـن أحـكـام صلاة الجنازة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

موقف الإمام من الرجل ومن المرأة:

يُسن أن يقف الإمام في صلاة الجنازة حيال رأس الرجل وأعالي صدره، وحيال وسط المرأة هذا إن كانت الجنازة واحدة، أما إن تعددت الجنائز فكما يلي: إذا كانوا أمواتاً عدة صُفُّوا بحيث يكون الواحد أمام الآخر، ثم وقف الإمام حذاءَ رأسِ الأدنى إليه منهم، فإن كانوا رجلاً وامرأة وطفلاً معاً جُعل الرجل مما يلي الإمام، ثم جُعل الطفل أمـام الرجل ثم جُعلت المـرأة أمـام الطفل مما يلي القبلة وصلى عليهم جميعاً صلاة واحدة، والأصل في ذلك حديث سمرة بن جندب قال: "صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم، وصلى على أم كعب ماتت وهي نفساء، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليها وسطها" أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أنس بن مالك صلى على جنازة رجل، فقام عند رأسه، (وفي رواية: رأس السرير) فلما رُفع، أُتي بجنازة امرأة من قريش أو من الأنصار، فقيل له: يا أبا حمزة هذه جنازة فلانة ابنة فلان فصل عليها، فصلَّى عليها، فقام وسطها، (وفي رواية: عند عجيزتها، وعليها نعش أخضر)، وفينا العلاء بن زياد العدوي، فلما رأى اختلاف قيامه على الرجل والمـرأة قال: يا أبا حمزة هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الرجل حيث قمت، ومن المرأة حيث قمت قال: نعم، قال: فالتفت إلينا العلاء فقال: احفظوا) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه.

حالة اجتماع الجنائز:

عن نافع «أن ابـن عمر صلى على تسع جنائز جميعاً، فجعل الرجال يلون الإمام والنساء يلين القبلة، فصفَّهن صفاً واحـداً، ووُضعت جنازة أم كلثوم بنت علي امرأة عمر بن الخطاب وابن لها يقال له زيد، وُضعا جميعاً، والإمام يومئذ سعيد بن العاص، وفي الناس: ابن عمر ، وأبـو هريرة، وأبـو سعيد، وأبـو قتادة، فوُضع الغلام مما يلي الإمام، فقال رجل: فأنكرتُ ذلك فنظرت إلى ابن

عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي قتادة، فقلت: ما هذا ؟ قالوا: هي السُنَّة.. رواه النَّسائي.

شروط الصلاة على الميت:

لصلاة الجنازة نوعان من الشروط: النوع الأول باعتبارها صلاة فيشترط لها ما يُشترط لسائر الصلوات من إسلام وعقل وتمييز، وطهارة المصلي من الحدث الكبر والأصغر، وطهارة بدنه وثوبه من النجس، وستر العورة واستقبال القبلة، والنية عند من يراها شرطًا وليست ركنًا، وهذه الشروط قد سبق بيانها تفصيلاً في أحكام الصلاة فلتراجع، إلا الوقت فلا يشترط لصلاة الجنازة وقت محدد كالصلوات الخمس.

وأما النوع الثاني من الشروط فهو ما يختص بالميت، وسنذكر هذه الشروط إجمالاً دون تفصيل لعدم الإطالة مع الإشارة إلي ما هو محل اتفاق وما هو مختلف فيه.

١- إسلام الميت: وهذا محل اتفاق بين الفقهاء، فلا يُصلَّى على كافر أصلاً؛ لقوله تعالى: «ولا تُصلِّ على أحد منهم مات أبداً» (التوبة: ٨٤).

٢- طهارة الميت: وهذا محل اتفاق بين الفقهاء، فلا تجوز الصلاة عليه قبل الغسل أو التيمم.

٣- وجود الميت أو أكثره: وهذا شرط عند الحنفية والمالكية، أما عند الشافعية والحنابلة فيجوز الصلاة علي بعض الميت.

٤- أن يتقدم الميت استقرار حياة: وهذا شرط عند الجمهور خلافاً للحنابلة، فلا يُصلَّى على مولود ولا سقْط، إلا إن علمت حياته بارتضاع أو حركة، أو يستهلَّ صارخاً، أما عند الحنابلة إن وُلِدَ المولود لأكثر من أربعة أشهر غسل وصلي عليه وإن لم يستهل صارخًا.

٥- ألا يكون شهيداً: وهو من مات في معترك الجهاد، وهذا شرط عند الجمهور، فلا يُغسَّل ولا يُكفَّن، ولا يُصلَّى عليه، ويدفن بثيابه. وعند الحنفية: يكفن الشهيد ويصلى عليه، ولا يغسل.

٦- تكفين الميت: وهذا شرط عند الحنفية والحنابلة، وعند الشافعية يكره الصلاة عليه قبل التكفين.

٧- حضور الميت ويكون موضوعاً على الأرض أمام المصلي، في اتجاه القبلة: وهذا شرط عند الجمهور: فلا يجوز الصلاة علي الميت خلف جدار، أو أن يتقدم المصلي على الميت، اتباعًا لما جرى عليه السلف، وعند المالكية يكره تقدم المصلي على الميت فهذا عندهم شرط كمال وليس شرط صحة

أركان صلاة الجنازة:

أركان صلاة الجنازة منها ما هو متفق عليه ومنها ما هو مختلف فيه، فالمتفق عليه ثلاثة أركان؛ هي: أربع تكبيرات، والقيام، والدعاء للميت، على اعتبار أن الدعاء ركن على الصحيح من مذهب الحنفية، أما النية فلا بد منها في صلاة الجنازة، وإنما الخلاف بينهم في كونها شرطًا أم ركنًا، وأما الأركان التي اختلفوا فيها فهي ثلاثة: قراءة الفاتحة، والصلاة علي النبي، والسلام.

١- القيام في صلاة الجنازة: وهو ركن متفق عليه كما ذكرنا، فلا تصح الصلاة من قاعد ولا راكب بلا عذر، والأصل في ذلك حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة؛ فقال: "صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلي جنب". رواه البخاري ووجه الدلالة قوله "صل قائمًا" فهو يعم جميع الصلوات، ويؤيده ما رواه عمران بن الحصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخاكم النجاشي قد مات؛ فقوموا فصلوا عليه"؛ فقمنا فصففنا عليه كما يصف على الميت، وصلينا عليه كما يُصلَّى على الميت. رواه أحمد والترمذي والنسائي.

٢- النية: وقد أشرنا إلى الخلاف في كونها شرطًا أو ركنًا، وهو خلاف غير مؤثر فالكل متفق على أن العبادة لا تصح بدون نية لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"....... الحديث. متفق عليه

٣- أربع تكبيرات: وهي ركن في صلاة الجنازة باتفاق جمهور الفقهاء، فكل تكبيرة تقوم مقام ركعة، والأصل عندهم في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه؛ خرج إلى المصلى فصف بهم وكبَّر أربعًا. متفق عليه، وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

قال: انتهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى قبر رطب فصلى عليه وصفوا خلفه وكبَّر أربعًا.

ووجه الدلالة من الحديثين فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن ملزمون باتباعه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "صلُّوا كما رأيتموني أصلي". رواه البخاري. وقد ثبتت الزيادة علي أربع تكبيرات؛ فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: "كان زيد بن أرقم يكبر على جنائزنا أربعًا، وإنه كبَّر خمسًا على جنازة فسألته فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبرها فلا أتركها لأحد بعده أبدًا". رواه الجماعة إلا البخاري. قال ابن عبد البر: وقد ذكرنا أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يختلفون في التكبير على الجنائز من سبع إلى ثلاث، وقد روي عن بعضهم تسع تكبيرات، ثم انعقد الإجماع بعد ذلك على أربع، واتفق الفقهاء أهل الفتوى بالأمصار على أن التكبير على الجنائز أربع لا زيادة على ما جاء في الآثار المسندة من نقل الآحاد الثقات، وما سوى ذلك عندهم شذوذ لا يُلتفت إليه اليوم، ولا يُعرَّج عليه. (الاستذكار ٣/٣١،٣٠).

وقال النووي: "التكبيرات الأربع أركان لا تصح هذه الصلاة إلا بهن، وهذا مجمع عليه، وقد كان لبعض الصحابة وغيرهم خلاف في أن التكبير المشروع خمس أم أربع أم غير ذلك، ثم انقرض ذلك الخلاف، وأجمعت الأمة الآن على أنه أربع تكبيرات بلا زيادة ولا نقص" (المجموع ٥/٢٣٠).

وقد وردت آثار عن الصحابة بأكثر من ذلك. قال ابن القيم في "زاد المعاد" بعد أن ذكر بعضًا من الآثار والأخبار: "وهذه آثار صحيحة، فلا موجب للمنع منها، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع مما زاد على الأربع، بل فعله هو وأصحابه من بعده"، وقال الألباني: "فهذه آثار صحيحة عن الصحابة تدل على أن العمل بالخمس والست تكبيرات استمر إلى ما بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ خلافًا لمن ادَّعى الإجماع على الأربع فقط، وقد حقق القول في بطلان هذه الدعوى ابن حزم" (أحكام الجنائز للألباني).

٤- الدعاء للميت: وهو محل اتفاق على اعتبار أن الدعاء ركن على الصحيح من مذهب الحنفية، ودليلهم في هذا ما روى أبو هريرة قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء" رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

وقد وردت أحاديث كثيرة في دعاء النبي في صلاة الجنازة، فلا بد من تخصيص الميت بالدعاء؛ لأنه المقصود من صلاة الجنازة. ومحل الدعاء مختلف فيه؛ فعند المالكية عقب التكبيرات الثلاث الأوليات وعند الشافعية والحنابلة عقب التكبيرة الثالثة، ولكنه غير متعين في الثالثة عند الحنابلة فيجزئ عقب التكبيرة الرابعة، والراجح أنه ليس للدعاء علي الميت موضع معين.

٥- قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة: وهو ركن عند الشافعية والحنابلة، ويرى بعض الشافعية أن وجوب قراءة الفاتحة بعد التكبيرة الأولى، ولكن المعتمد في المذهب جواز قراءتها بعد التكبيرات الثلاث الأخرى (انظر مغني المحتاج للشربيني ١/٣٤٢)، والظاهر من كلام الحنابلة وجوب قراءتها بعد التكبيرة الأولى (انظر غاية المنتهى لمرعي بن يوسف ١/٢٥٩،٢٦٠)، واستدلوا لذلك بحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه صلى على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب، وقال: لتعلموا أنها سُنَّة. رواه البخاري.

وعن أم شريك عند ابن ماجه قالت: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نقرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب"، وفي إسناده ضعف يسير كما قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير.

وعند الحنفية والمالكية قراءة الفاتحة ليست ركنًا، واحتجوا بما روي عن عبد الله بن مسعود قال: لم يُوقِّت لنا في الصلاة على الميت قراءة ولا قول، كبِّر ما كبَّر الإمام، وأكثر من طيب الكلام، قال في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وأوّلوا أحاديث قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة بأنها كانت على سبيل الثناء أو الدعاء (انظر حاشية ابن عابدين ١/٥٨٦)، وما ذهب إليه الشافعية والحنابلة أرجح لقوة أدلتهم.

والحمد لله رب العالمين.

نهاية العام وقفة محاسبة

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعدُ:

فإن الليالي والأيام هي رأس مال الإنسان في هذه الحياة ربحها الجنة وخسرانها النار، السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمارها. فمن كانت أنفاسه في طاعة الله، فثمرة شجرته طيبة مباركة، ومن كانت أنفاسه في معصيته فثمرته مر وحنظل، وإن العبد في هدم لعمره منذ خرج من بطن إمه، قال الحسن رحمه الله: «أيام مجموعة أي الإنسان فكلما ذهب يوم ذهب بعض الإنسان وجزء منه، اليوم منه يهدم الشهر، والشهر يهدم السنة، والسنة تهدم العمر، وكل ساعة تمضي من العبد فهي مدنية له من الأجل».

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

قال ابن القيم رحمه الله: «إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها. فعمر الإنسان هو موسم الزرع في هذه الدنيا، والحصاد هناك في الآخرة، فلا يحسن بالعبد أن يضيع أوقاته وينفق رأس ماله فيما لا فائدة فيه، ومن جهل قيمة الوقت الآن؛ فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل الصالح فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار؛ حيث يستدبر الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو منح مهلة من الزمن، وأُخر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فات.

الموقف الثاني: في الآخرة؛ حيث توفَّى كل نفس ما عملت وتُجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ، هناك يتمنى أهل النار لو

يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدؤوا من جديد عملاً صالحا.

ولكن: هيهات هيهات لما يطلبون فقد انتهى زمن العمل وجاء زمن الجزاء: «وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ» (الزمر: ٧٠)؛ قال الله تعالى: «بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا» (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠).

فاستثمر وقتك-أخي- في طاعة الله، قبل أن تتمنى الرجعة لتعمل، والرجعة مستحيلة والعود بعيد، وقال تعالى: «وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ» (المنافقون: ١٠، ١١).

وكما أنهم يطلبون الرجعة عند حضور الموت ليصلحوا أعمالهم؛ فإنه يطلبون ذلك يوم القيامة ومعلوم أنهم لا يجابون إلى ذلك؛ ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ» (السجدة: ١٢).

وقوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ» (الأنعام: ٢٧، ٢٨).

وقوله تعالى: «وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ» (الشورى: ٤٤)، وقوله تعالى: «قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ» (غافر: ١١).

وقوله تعالى: «وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» (فاطر: ٣٧).

وقوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ» (سبأ: ٥١-٥٣). وقد تضمنت هذه الآيات التذكر، وأمثالها في القرآن أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند حضور الموت، ويوم النشور ووقت عرضهم على الله تعالى، ووقت عرضهم على النار.

واذا كان الأمر كذلك- أيها الأحبة، فعلى صاحب البصر النافذ أن يتزوَد من نفسه لنفسه. قال الله تعالى: «وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا» (المزمل: ٢٠)، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لمرضه. فما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا سوى الجنة أو النار.

وأما الدنيا فحياتها عناء، ونعيمها ابتلاء، وجديدها يبلى، ومُلكها يفنى، وُدَها ينقطع، وخيرها ينتزع، المتعلقون بها على وجل إما في نعيم زائلة أو بلا يا نازلة، أو منايا قاضية. العمر قصير، والخطر المحدق كبير. والمرء بين حالين: حال قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، ومن أصلح بينه وبين ربه كفاه ما بينه وبين الناس، ومن صدق في سريرته حسنت علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه. والمحاسبة الصادقة ما أورثت عملاً.

فعليك-أخي الحبيب- أن تستدرك ما فات بما بقي، فتعيش ساعتك ويومك، ولا تشتغل بالندم والتحسر من غير عمل، واعلم أن من أصلح ما بقي غفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وبما بقي. والموت يأتي بغتة، فأعط كل لحظة حقها، وكل نفس قيمته.

قرأ الحسن رحمه الله قوله تعالى: «عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ» (ق: ١٧). فقال: يا ابن آدم: بُسطت لك صحيفتك، ووُكل بك ملَكان؛ أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فصاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، فإذا مت طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك، فتخرج يوم القيامة، فيقال لك: «ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» (الإسراء: ١٤). ثم قال رحمه الله: عدل- والله- من جعلك حسيب نفسك.

واعلموا-إخواني- أنَّ من حاسب نفسه في الدنيا خفَّ في القيامة حسابه، وحسن في الآخرة منقلبه، ومن أهمل المحاسبة، دامت حسرته وساء مصيره، وما كان شقاء الأشقياء إلا لأنهم كانوا لا يرجون حسابًا.

قال الله تعالى: «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ

أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا » (النبأ: ٢١-٣٠).

فيا إخواني! ما دمنا جميعًا نوقن بأن الموت نهاية كل حي في هذه الدنيا، وأن بابه سيلجه كل أحد، وكأسه تتحساها كل نفس، وأنه خاتمة المطاف، ونهاية التطواف في عالم الدنيا، فإنه يجدر بنا- ونحن نودع في هذه الأيام عامًا هجريًا كاملاً، ونختتم سنة من أعمارنا- أن نقف وقفة حازمة مع نفوسنا، نذكرها بهذه الخاتمة، وأهميتها في حياة الإنسان، من كون كل إنسان خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة قد أسرعت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل، فتزودوا- إخواني- من دنياكم قبل الممات، وتداركوا هفواتكم قبل الفوات، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات، وتفكروا فيما أراكم من الآيات، وبادروا بالأعمال الصالحات، واستكثروا في أعماركم القصيرة من الحسنات، قبل أن ينادي بكم مناد الشتات، قبل أن يفاجئكم هادم اللذات، قبل أن يتصاعد منك الأنين والزفرات، قبل أن تنقطع قلوبكم عند فراقكم حسرات، قبل أن يغشاكم من غم الموت الغمرات، قبل أن تزعجوا من القصور إلى بطون الفلوات، قبل أن يحال بينكم وبين ما تشتهون من هذه الحياة، قبل أن تتمنوا رجوعكم إلى الدنيا وهيهات».

قال بلال بن سعد: يقال لأحدنا: تريد أن تموت؟ فيقول: لا، فيقال له: لم؟ فيقول: حتى أتوب وأعمل صالحا، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف أعمل، فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل، فيؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخر عمل الدنيا.

فالواجب المبادرة إلى التوبة وترك التسويف، فإن تأخير التوبة هو-بحد ذاته- ذنب يستحق التوبة، كيف وإن المؤمن ليخشى أن يُحال بينه التوبة وهو لا يشعر، فتفوته فيندم حيث لا ينفع الندم؟

يطلب حسن الخاتمة، وينشد الميتة الحسنة ليفوز بما بعدها، ويخشى من سوء الخاتمة وميتة السوء، لشدة ما بعده وهوله، ولقد جاء في كتاب الله عز وجل التأكيد على أهمية حسن الخاتمة، يقول الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ » (آل عمران: ١٠٢).

ويقول عز وجل: « وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ » (الحجر: ٩٩)؛ فالأمر بتقوى الله وعبادته مستمر حتى الموت، لتحصل الخاتمة الحسنة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأعمال بالخواتيم». (البخاري: ٦٦٠٧). وإذا كان الإنسان لا يدري متى يفجؤه الأجل، ولا متى يباغته الموت؟ فإن عليه أن يستعد لهذه اللحظة المفاجئة بالعمل الصالح، وقد حذر المولى- تبارك وتعالى- من ذلك، فقال عز وجل: « إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (النساء: ١٧، ١٨).

فجُدَّ-أخي- في التوبة، وسارع إليها فليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد، فسارع إلى التوبة، وهُبَّ من الغفلة، واعلم أن خير أيامك يوم العودة إلى الله عز وجل، فاصدق في ذلك السير.

قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: «من أعظم الاغترار عندي: التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط. ومن أحبَّ الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف من النار انصرف عن السيئات». اهـ.

وقال الحسن البصري: «إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي-وكذب- لو أحسن الظن لأحسن العمل». اهـ.

اللهم إنا نسألك أن تجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك. واختم لنا عامنا هذا بالتوبة النصوح، والعمل المتقبل المرفوع إنك ولي ذلك والقادر عليه.

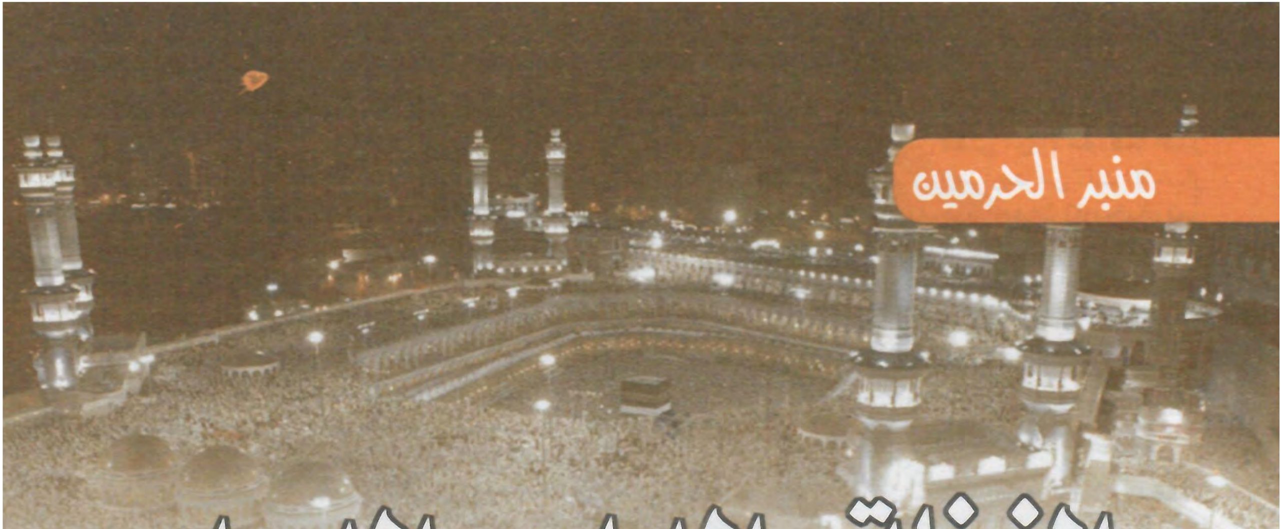

الغفلة: الداء والدواء

إعداد **الشيخ: بندر بليلة**

خطيب المسجد الحرام

الحمد لله، أنارَ بصائر أوليائه فغدَوْا أيقاظًا والناسُ رقودٌ، أحمده سبحانه، وهو أعظم محمود وأشرف موجود، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، الواحد الأحد المعبود، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، ذو المقام المحمود والحوض المورود، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه الرُّكَّع السُّجُود، الموفِينَ بالعهود، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلى اليوم المشهود.

أما بعدُ: فاتقوا الله-أيها المؤمنون-، وكونوا له كما أمركم يكن لكم كما وعدكم، أجِيبوا اللهَ إذا دعاكم، يُجِبْكُم إذا دعوتموه.

مَنْ صَفَا مع الله صافاه، ومَنْ آوى إلى الله آواه، ومَنْ فوَّض أمرَه إلى الله كَفَاهُ، ومَنْ باع نفسَه لله اشتراه، وجعَل ثمنَه جنتَه ورضاه، الحياةُ كلُّها في إدامة الذُّكر، والعافية كلها في موافَقة الأمر، والنجاة مِن الهلاك في ركوب سفينة الكتاب والسُّنَّة، والفوزُ فوزُ مَنْ زُحزِحَ عن النار وأُدخِلَ الجنةَ.

معنى الغفلة وأنواعها

أيها المسلمون: إن الله-تعالى-خلق القلوبَ لتكون عارفةً به، متعرِّفةً إليه، موصولةً به، لا يصدُّها عن ذكرِها صادٌّ، ولا يشغلها عن التفكر في آياته رادٌّ، غير أنه قد تعرض لهذه القلوب أدواءٌ وحُجُبٌ، تحول بينها وبينَ ما خُلقَتْ له، وتزيلها عن حالها التي أُريدَتْ لها، ومنْ أخطر ما يَعرض لها وأضرِّه داءُ الغفلة، فإنه رِقاد القلب، وانصرافه عن الذكر، وإعراضه عن التَّذْكرة، حتى يتابع النَّفْسَ فيما تشتهيه، ويفقد الشعورَ بما حقُّه أن يَشعُرَ به ويُوقف عندَه، ومن هذه الغفلات:

الغفلة عن التفكُّر في الآيات الكونية والشرعية: فتأتي واحدةً بعد واحدةً، والقلوبُ لاهيةٌ سامدةٌ، لا تنبعث إلى تصديق وإيمان، ولا تنجفل إلى خوف وخضوع وتضرُّع وإذعان، (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) (الأنعام: ٤)؛ وذلك الشأن إذا وردَت الآيات على محل غافل غيرِ قابل للتذكرة، فكأنما هي غيثٌ ينزِل على أرض ليحييها،

لكنها قيعانٌ لا تُمسكُ ماءً ولا تُنبتُ كلأً.

ومنها: الغفلةُ عنِ الدارِ الآخرة: وما تستحقُّه من السعي لها حقَّ سعيها، وإعداد الحرْث لها قبل أن يأتي يوم الحسرة للغافلين، قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧-١٨٨)، فحظ هؤلاء الغافلين أنهم منقطعون إلى الدنيا، لا يتجاوز علمُهم هذه الدارَ إلى غيرها، وهم مع ذلك إنما يعلمون ظاهرَها البرَّاق، دون حقيقتها وسرها، فيعرفون ملاذَها وملاعبَها وشهواتها، ويجهلون مضارَّها ومتاعبَها وآلامَها، يعلمون أنها خلقتْ لهم، ولا يعلمون أنهم لم يُخلقوا لها، يشغلهم حال الإخلاد إليها، والاطمئنان بها، ويغفلون عن فنائها وزوالها، فهي قصيرةٌ وإن طالت، ذميمةٌ وإن تزيَّنَتْ.

عبادَ الله: فإذا أتت الآخرةُ التي غفلوا عنها، هنالك حقَّت حسرتهم، يومَ لا تنفعُ الحسرة، قال سبحانه يصوِّر ذلك الحال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مَرْيَم: ٣٩)، هذا يوم يُقضى بين الخلائق، ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود: ١٠٥)، منهم خالدٌ في الجنة، ومنهم خالدٌ في السعير، فأمَّا أهل الجنة ففي نعيم وحبور، وأمَّا أهل النار ففي حسرة وثبور، عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: "يُؤْتَى بالمَوْت كهَيْئَة كَبْش أمْلَح، فيُنَادِي مُنَادٍ: يا أهْل الجَنَّة، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فيَقُولُ: هَلْ تعْرِفُونَ هذا؟ فيَقُولونَ: نَعَمْ، هذا المَوْتُ، وكُلُّهُمْ قدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يا أهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فيَقُولُ: وهلْ تَعْرِفُونَ هذا؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، هذا المَوْتُ، وكُلُّهُمْ قدْ رَآهُ، فيُذْبَحُ ثُمَّ يقولُ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فلا مَوْتَ، ويا أهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فلا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ (مَرْيَم: ٣٩)، وهَؤُلَاءِ في غَفْلَةٍ أهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مَرْيَم: ٣٩)". (أخرجه الشيخان في صحيحهما).

السبيل لعلاج الغفلة:

والسبيلُ إلى علاج هذه الغفلة: العلْم والبصيرة بحال الدنيا، وإنزالها منزلتها، وتَرْكَ الاستغراق فيها؛ حتى لا يستولي حُبُّها على القلوب، فتغفل عن الآخرة، فإن الدنيا والآخرة ضرتانِ، بقدر إرضاء إحداهما تسخط الأخرى، وبقدر تعلق القلب بإحداهما ينصرف عن الأخرى، ولا علاجَ لذلك إلا بأن تكون الآخرة هي الغاية، والدنيا هي الوسيلة إليها، فإذا كانت كذلك فهي مزرعة الآخرة، ونعمت المزرعة.

ومنِ الغفلة اللاهية أيضا: الغفلة عن الاعتبارِ والاتعاظ بأحوال مَنْ مضى من الأمم، فما أكثر العبَر، وما أقلَّ الاعتبار، وما أريدَ من تلك الأخبار غيرُ الاعتبار، فليست مجرَّدَ أحداث تاريخيةٍ، نمرُّ عليها ونحنُ عنها غافلون، وليست أحاديث تحكى للتفكه والتخيلِ ونحن مُعرضون، كلاً والله، بل هي ديوانٌ مفتوحٌ لمنْ كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ، وجل سبحانه إذ يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسُف: ١١١).

أيها المسلمون: وإن من أعظم أنواع الغفلات: الغفلة عن ذكر الله-تعالى-، فهي الجالبةُ لغيرها من الغفلات، المحيطة بألوان من التيه والضياع والشتات؛ ولذلك قال تعالى آمرًا نبيَّه بالذكر وناهيًا إيَّاهُ عن الغفلة: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ (الأعْراف: ٢٠٥)، فجعَل سبحانه تارك الذكرِ غافلا، وسبيل العلاج من هذه الغفلة، هو دوام الذكر ومجاهدته؛ وذلك أن الذكر يُنبِّه القلبَ من نومته، ويُوقظه منْ سنَته، والقلبُ إذا كان نائمًا فاتته الأرباحُ، وكان الغالبُ عليه الخسرانَ، فإذا استيقظ وعلمَ ما فاته في نومته، شدَّ المئزر، وأحيا بقيةَ عمره، واستدركَ ما فاته، ولا تحصُل يقظتُه إلا بالذكر؛ فإن الغفلة نومٌ ثقيل.

وممَّا يؤمَن من هذه الغفلة، ويعصم منها: ذلكمْ العلاجُ النبويُّ الشريفُ، الذي أخبَر عنه رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بقوله: "مَنْ قَامَ بعَشر آيَاتٍ لَم يُكْتَبْ مِنَ الغافلِين، وَمَنْ قَامَ بمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِن القَانتِين، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِب مِنَ المُقَنْطِرِينَ" (أخرجه أبو داود بسَند صحيح).

تراكم الذنوب من أعظم أسباب الغفلة:

فإن من أعظم أسبابِ الغفلة: تراكُم الذنوب على صفحات القلوب، وكل ذنب لم يَتُبْ منه صاحبُه فلا بد أن يكون تأثيرُه على صفاء البصيرة ونورها، وإنَّ العبد ليُذنبُ وإنها لَتُظلم شيئًا فشيئًا، حتى تصدأ، كما يصدأ الحديدُ، عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: "إنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المُطَفِّفِينَ: ١٤)" (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح).

والحمد لله رب العالمين.

إيَّاكم وَمُحَقَّراتِ الذنوب

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعد: فمحقرات الأعمال مدخل للشيطان مُهلك للإنسان.

- حقَرالشَّخصَ أو الشَّيءَ: استصغره، استهان به ونظر إليه نظرة ازدراء. معجم اللغة العربية المعاصرة (١/٥٢٩).

- عن عَمْرو بْنِ الأَحْوَصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ لِلنَّاسِ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ، قَالَ:... أَلاَ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي بِلاَدِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا وَلَكِنْ سَتَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَسَيَرْضَى بِهِ. سنن ابن ماجه (٣٠٥٥)، صحيح الجامع (٧٨٨٠).

- (قَدْ أَيِسَ): أَيْ قَنَطَ (أَنْ يُعْبَدَ): أَيْ: مِنْ أَنْ يُطَاعَ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى. مرقاة المفاتيح (٥/١٨٤٣).

- (في بلادكم هذه) يعني مكة وما حولها، (ولكن ستكون له طاعة) أي انقياد أو إطاعة (فيما تحتقرون) من الاحتقار أي تحسبون ذلك حقيرة صغيرة، ويكون فيها طاعةَ ومَرضاةَ للشيطان. مرعاة المفاتيح (٥/١٨٤٣).

إعداد **صلاح عبد الخالق**

- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّه طَالِبًا» سنن ابن ماجه (٤٢٤٣)، السلسلة الصحيحة (٥١٣).

(طَالِبًا) أَيْ: مُكَلَّفًا فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْلُبَهَا فَيَكْتُبَهَا فَهِيَ عِنْدَ اللَّه تَعَالَى عَظِيمَةٌ حَيْثُ خَصَّ لِأَجْلِهَا مَلَكًا. حاشية السندي (٢/٥٦٠)

أنواع محقرات الأعمال:

احتقار واستصغار الذنب وعقوبته: وذلك يجر وينقل المسلم من فعل الصغائر من الذنوب تدريجيا إلى فعل الكبائر؛ إنها خطوات الشيطان، قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ) (النور:٢١)؛ فاحذر الاستهانة بفعل الذنوب:

١- قال تعالى: (وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ)

(النور: ١٥).

٢- قال تعالى: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة:٧-٨). الذرة أصغر بكثير من تلك الهباءة التي تُرى في ضوء الشمس عندئذ لا يحقر «الأنسانُ» شيئًا من عمله، خيرًا كان أو شرًا، ولا يقول: هذه صغيرة لا حساب لها ولا وزن.

٣- عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إيَّاكمْ ومحقَّرات الذنوب، فإنَّما مثَلُ محقرات الذنوب: كمَثَل قوم نزلوا بطنَ واد، فجاءَ ذا بعود، وجاءَ ذا بعود، حتى جملوا ما أنضجوا به خُبزَهم، وإنَّ محقَّرات الذنوب متى يُؤخَذ بها صاحبُها تُهلكْهُ" مسند أحمد (٣٨١٨) وصحيح الجامع (٢٦٨٦).

صور الهلاك لمن يستصغر الذنب:

أولاً: الهلاك في الدنيا لمن استصغر الذنوب:

أ- ضعف الإيمان: عن عَبْد الله بْنُ مَسْعُود عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ المؤمنَ يَرى ذُنُوبَه كأنَّهُ قاعدٌ تَحتَ جبلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه، وإنَّ الفاجرَ يرى ذُنُوبَهُ كذُبابٍ مرَّ على أنفه» فقال به هكذا، قال أبو شهاب: بيَدِه فوقَ أنفِه. صحيح (٦٣٠٨).

فكلما قوي الإيمان عظمت المعصية عند الإنسان، وكلما ضعف الإيمان خفت المعصية في قلب الإنسان ورآها أمرًا هينًا يتهاون ويتكاسل عن الواجب، ولا يُبالي لأنه ضعيف الإيمان. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٧٢/١).

عَنْ أنَس رَضِيَ الله عَنْهُ، قال: «إنَّكُم لتَعْمَلُونَ أعْمالاً، هيَ أدَقُّ في أعْيُنكُمْ منَ الشَّعر، إن كُنَّا لنَعُدُّها على عَهْد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم منَ المُوبقات» قالَ أبُو عَبْد الله: «يَعْني بذلكَ المُهلكات». صحيح البخاري (٦٤٩٢).

ب- هلاك المجتمع: عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَحاسَدُوا، وَلا تَناجَشُوا، وَلا تَباغَضُوا، وَلا تَدابَرُوا، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبادَ الله إخْوانًا المُسْلمُ أخُو المُسْلم، لا يَظْلمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هاهُنا» وَيُشيرُ إلَى صَدْره ثَلاثَ مَرَّات «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلمَ، كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرامٌ، دَمُهُ، وَمالُهُ، وَعرْضُهُ» رواه مسلم (٢٥٦٤).

(ولا يحقرُهُ): لا يحتقرُهُ بذكر المعايب وَتنابُز الألقاب والاستهزاء والسُّخرية إذا رآه رثَّ الحال، أوْ ذا عاهة في بدنه أوْ غيرَ لائق في محادثته، فلعلَّهُ أخلَصُ ضميرًا وأتقى قلبًا ممَّنْ هو على ضد صفته فيظلمُ نفسه بتحقير منْ وقرهُ الله. مرقاة المفاتيح (٣١٠٥/٧).

- احتقار المسلم لأخيه المسلم فيه شر كبير؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "بحَسْب امْرئ من الشَّر أنْ يَحْقر أخاهُ المُسْلمَ". يعود الشر على المجتمع بالخصام والحسد.. وعلى المحتقر نفسه بقسوة القلب والطرد من الجنة.

عنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود، عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبه مثْقالُ ذَرَّة منْ كبْر» رواه مسلم(٩١). ذرة الكبر تُغلق باب الجنة في وجه المتكبر.

ج- غضب الله تعالى إلى يوم القيامة: عن بلال بْن الحارث المزنيِّ قال: سمعتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وإنَّ أحدكُم ليَتكلَّمُ بالكلمة منْ سخط الله ما يَظنُّ أنْ تبْلُغ ما بلغت، فيكْتُبُ الله عليه بها سخطهُ إلى يوم يلقاهُ. سنن الترمذي (٢٣١٩)، صحيح الجامع (١٦١٩). ما يظنُّ أنْ تبْلُغ ما بلغتْ: يستصغرها ولا يُفكر في عواقبها. فيكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم القيامة بأن يختم له بالشقاوة ويصير مُعذبا في قبره مُهانا في حشره حتى يلقاه يوم القيامة فيورده النار وبئس الورد المورود. فيض القدير (٤٢٠/٢).

- عنْ عائشة قالتْ قُلْتُ للنبي صلى الله عليه وسلم حَسْبُكَ منْ صَفيَّةَ كذا وكذا-قالَ غَيْرُ مُسَدَّد تعْني قصيرةً- فقال «لقدْ قُلْت كلمةً لوْ مُزجَتْ بماء الْبَحْر لمَزَجَتْهُ» سنن أبي داود (٤٨٧٧)، صحيح الجامع (٥١٤٠).

سبحان الله هذه الكلمة الصغيرة حجماً العظيمة جرماً لو مُزجت بماء البحر لمزجته يعني لو خلطت بماء البحر على كبره وسعته خالطته مخالطة يتغير بها طعم ماء البحر، وريحه ولونه لشدة نتنها وقبحها، وهي كلمة يسيرة: لكنها عند الله عظيمة.

٢- الهلاك والخسارة في الآخرة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله

عليه وسلم قال: "إنَّ الشيطانَ قدْ يئسَ أنْ تُعبدِ الأصنامُ في أرْضِ العربِ، ولكنَّه سيرْضى منكم بدون ذلك بالمحقرات، وهي الموبقاتُ يومَ القيامة. صحيح الترغيب (٢٢٢١).

وقال ابن القيم: يا مغرورا بالأماني! لعن إبليس وأهبط من منزل العز بترك سجدة واحدة أمر بها، وأخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها. الفوائد (ص٦٣).

السقوط في جهنم:

عَنْ أبي هُرَيْرَة، قَال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم "إنَّ الرَّجلَ ليَتكلَّمُ بالكلمةِ منْ سُخْطِ اللهِ، لا يرَى بها بأسًا، فيَهْوِي بها في نار جهنَّم سبْعينَ خريفًا" سنن ابن ماجه (٣٢٠٦) وزاد مسلم (٢٩٨٨) يهْوي بها في النّار، أبْعدَ ما بيْنَ المشْرقِ والمغْربِ».

- سبحانَ الله العظيم بسبب كلمة باطلة يظل قائلها يسقط في جهنم أبعد مما بين السماء والأرض مسافة أكثر من خمسمائة عام فما بالك لو كانت كلمات؟!

ثانيًا: احتقار الطاعة وثوابها: فمثلاً:

١- احتقار واستصغار طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تجر وتنقل المسلم من ترك السنن وفضائل الأعمال تدريجيًا إلى ترك الواجبات الفرائض.

عنْ عائشة، عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: «ركعتا الفجْرِ خيْرٌ منَ الدُّنيا وما فيها» رواه مسلم (٧٢٥)-قوله (ركعتا الفجر) أي سنة الفجر (خير من الدنيا وما فيها) أي أثاثها ومتاعها، يعني أجرهما خير من أن يُعطي تمام الدنيا في سبيل لله تعالى. مرعاة المفاتيح (١٣٧/٤).

٢- مساعدة الآخرين: عنْ أبي هُرَيْرة، قال: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «منْ نفَّسَ عنْ مُؤمنٍ كُرْبةً منْ كُرَبِ الدُّنيا، نفَّسَ اللهُ عنْهُ كُرْبةً منْ كُرَبِ يوْمِ القيامة، ومنْ يسَّر على مُعْسر، يسَّر اللهُ عليْه في الدُّنيا والآخرة، ومنْ ستَر مُسْلمًا، سَترهُ اللهُ في الدُّنيا والآخرة، واللهُ في عوْن العبْد ما كانَ العبْدُ في عوْنِ أخيه. صحيح مسلم (٢٦٩٩).

والتنفيس والتيسير والستر والنفع للناس قد يكون بأشياء بسيطة من كلمة طيبة وصدقة يسيرة.

٣- سقي الماء: عنْ أبي هُرَيْرة رضى الله عنه قال: قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «بيْنما كلْبٌ يُطيفُ برَكيَّة، كادَ يقْتُلهُ العطشُ، إذْ رأتْه بغِيٌّ منْ بغَايا بني إسْرائيل، فنزَعتْ مُوقها فسقتْه فغُفرَ لها به» رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥). بسبب سقي الكلب بالماء غفر الله لهذه الزانية فما بالك بسقي الإنسان المكرم؟

٤- إماطة الأذى عن الطريق: عنْ أبي هُرَيْرة: أنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «بيْنما رجُلٌ يمْشي بطريقٍ وجد غُصْنَ شوْكٍ على الطريق فأخَّرهُ فشكرَ اللهُ لهُ فغفرَ لهُ» البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤)-معْناهُ قبل عمله، وأثابه، وغفر له. شرح النووي (٤١٧/٧).

٥-تَلْقى أخاكَ ووجْهكَ إليْه مُنْطلقٌ: فعنْ أبي ذرٍّ قال: قالَ لي النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لا تحْقرنَّ منَ المعْروف شيْئًا، ولوْ أنْ تلْقى أخاكَ بوجْهٍ طلْقٍ» رواه مسلم (٢٦٢٦) طلق: منبسط مُبتسم. إنَّ تبسُّمك صدقة تتصدق بها على الفقير والغني، على من يستحق ومن لا يستحق: فعنْ أبي ذرٍّ قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: (تبسُّمكَ في وجْهِ أخيكَ صدقةٌ). صحيح الترغيب (٢٣٢١).

٧- الكلمة الطيبة: أ. عن بلال بْنِ الحارث المُزنيِّ قال: سمعْتُ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقُولُ: إنَّ أحدكُمْ ليتكلَّمُ بالكلمةِ منْ رضْوانِ الله ما يظُنُّ أنْ تبْلغَ ما بلغتْ فيكْتُبُ اللهُ لهُ بها رضْوانهُ إلى يوْمِ يلْقاهُ. سنن الترمذي (٢٣١٩)، سنن ابن ماجه (٣٩٦٩). الرضا المتواصل إلى يوم القيامة من الله بسبب كلمة طيبة.

ب- عنْ أبي هُرَيْرة، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ العبْدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ منْ رضْوانِ الله، لا يُلْقي لها بالًا، يرْفعُهُ اللهُ بها درجاتٍ» صحيح البخاري (٦٤٧٨) يرْفعُهُ الله بها درجاتٍ: درجات عالية في نعيم الجنة. نسأل الله من فضله. والحمد لله رب العالمين.

بريد القراء

بداية أدعو الله لكم بالسداد والتوفيق في نشر الخير والدعوة إلى إحياء مناهج الإسلام.

أقترح إضافة فكرة؛ فبما أن القرآن الكريم هو دستورنا؛ فلماذا لا نهتم بلغته التي طالما مدحها ربنا جل وعلا في كتابه: (إنا أنزلناه قرآنا عربيا)، (بلسان عربي مبين)، وكان العربي ينفر من الذين يلحنون في لغته، فهل نضيف مثلاً دروسًا في النحو مثلاً.

أو ننشر كل شهر بضعة أبيات من الألفية، ونورد شرحها.

فكرتي هي أن نورد أبياتًا للألفية ثم نبين بعد ذلك شرحًا لتلك الأبيات. كما يجب أيضًا الاهتمام بالأدب العربي، فهلا أوردنا مثلا فصولاً من كتاب الدكتور شوقي ضيف في الأدب بمراحله المختلفة.. وكذلك يمكن إضافة دروس في الخط العربي بخطوطه المتنوعة المبدعة ... ودروس في البلاغة المبسطة من كتاب الكافي.. والاهتمام بقصص الأنبياء عن طريق السرد البسيط الذي يصل للعامة قبل الخاصة وليس عن طريق الاستقصاء والتحليل.. فلا يخفي على حضراتكم ما وصلنا إليه من قلة في العلم.

بوركتم.

الأخ القارئ الكريم: جزاك الله خيرًا على اهتمامك وتواصلك معنا، وسنعرض الأمر على اللجنة العلمية للمناقشة، والله الموفق.

تهنئة

يسر مجلس إدارة جمعية أنصار السنة المحمدية بمصر، وأسرة تحرير مجلة التوحيد، أن تتقدم بالتهنئة لفضيلة الشيخ الدكتور أيمن خليل- حفظه الله- لحصوله على درجه الدكتوراه الثانية في المعاملات الإسلامية بامتياز مع مرتبة الشرف، سائلين الله عز وجل له دوام التوفيق والسداد.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد وأعضاء مجلس الإدارة بالعزاء إلى أسرة الشيخ عبده السيد عبد الجليل، أحد دعاة الجمعية، ورئيس فرع أنصار السنة بـ«صبيح»، مركز ههيا، محافظة الشرقية، نسأل الله له المغفرة والرحمة.

كما تتقدم أسرة التحرير وأعضاء مجلس الإدارة بالعزاء إلى أسرة الشيخ محمد فوزي شرشر، أحد دعاة الجمعية، وعضو مجلس إدارة فرع أنصار السنة، تلا منوفية، نسأل الله له المغفرة والرحمة.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوةً حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٠
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٩٣٦٥١٧ - ٢٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

٨٠٠ جنيه مصري بدلا من ١٠٥٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية

صدر حديثاً مجلد عام ١٤٣٩-١٤٤٠ بسعر ٦٠ جنيهاً للنسخة

يوجد اعداد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهاً بدلا من ٤٠ جنيه

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513